

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

" معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم "

إعداد

محمد سعيد محمد عنثري

إشراف

الدكتور عودة عبدالله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين

2008 م

" معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم "

إعداد

محمد سعيد محمد عنترى

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : 19 / 8 / 2008م وأجيزت

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور عودة عبدالله (مشرفاً)

الدكتور خالد علوان

الدكتور حاتم جلال التميمي

الإهداء

إلى سيد البشرية ، قائد الأمة الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى والدي ... اللذين غرسا في قلبي حبَّ العلم والعلماء ، سائلاً المولى عز وجلّ أن يرحمهما كما ربياني صغيراً .

إلى إخوتي نور عيوني وأخواتي مهجة قلبي ، الذين ما آلوا جهداً في إعانتني وتشجيعي على مواصلة التحصيل العلمي ، ورفع معنوياتي في كل الظروف والأحوال .

إلى الذين نهلت على أيديهم الطيبة المباركة العلم الشرعي ، فكان لهم الفضل عليّ في هذا المقام ، أساتذتي الأفاضل في جامعة النجاح الوطنية - نابلس ، إليكم جميعاً . وأنا غرس من غرسكم وثمر من ثماركم .

إلى كل إنسان شرح الله صدره للإسلام ، فاعتنقه عقيدةً وعملاً وسلوكاً .

أهدي هذا العمل المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره على نعمه التي لا تحصى ، وعلى هدايته وتوفيقه لي في كتابة هذه الرسالة وإتمامها ، فله الحمد وإليه يعود الفضل والخير ، وبعد :

فاعترافاً بالفضل لأهله ، وعملاً بالأدب الإسلامي الرفيع بشكر المحسن على إحسانه ، أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني لكل من كان له دورٌ وفعلٌ في مساعدتي ، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور عودة عبدالله الذي أشرف على رسالتي ، والذي لم يدخر جهداً في إبداء توجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة ، ومنحني من وقته الكثير الكثير ، فجزاه الله خير الجزاء ، ونفعنا بعلمه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين اللذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة ، الاستاذ الدكتور خالد علوان الذي أحسبه مخلصاً بعلمه وعطائه ، وأتقدم أيضاً بعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي حفظه الله ورعاه .

فجزاهم الله عنا كل خير ...

إقرار

أنا الموقع أدناه ، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان : معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم .

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص ، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد ، وإن هذه الرسالة ككل ، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب :

Signature :

التوقيع :

Date :

التاريخ :

فهرست المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	ت
2	شكر وتقدير	ث
3	إقرار	ج
4	فهرست المحتويات	ح
5	الملخص	ذ
6	مقدمة	1
7	مسوغات البحث ومشكلته وأهدافه	2
8	أهمية البحث	2
9	مشكلة البحث	2
10	أهداف البحث	2
11	الدراسات السابقة	3
12	منهجية البحث	4
13	خطة البحث	5
14	الفصل الأول : (الأسرة النبوية مفهومها وملامحها)	6
15	أولاً : تمهيد	7
16	ثانياً : الأسرة لغة واصطلاحاً	9
17	ثالثاً : الأسرة النبوية	11
18	رابعاً : الأسرة النبوية في السياق القرآني	17
19	الفصل الثاني : حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخلاقه في القرآن الكريم	20
20	المبحث الأول : نشأة النبي صلى الله عليه وسلم	21
21	المبحث الثاني : مسكن النبي صلى الله عليه وسلم	24
22	المبحث الثالث : أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أسرته	29
23	الفصل الثالث : الأسرة النبوية في مواجهة الشبهات	32
24	تمهيد : الشبهات وأثرها على الأسرة	33

36	المبحث الأول : حادثة الإفك وأثرها على الأسرة النبوية	25
36	المطلب الأول : قصة الإفك وشدة البلاء	26
36	أولاً : الصديقة وشدة بلاء الإفك	27
40	ثانياً : معنى الإفك والحكمة من التعبير بهذا اللفظ	28
43	ثالثاً : دور المنافقين في الحادثة	29
45	المطلب الثاني : أثر حادثة الإفك على الأسرة النبوية	30
45	أولاً : الصديقة ووقفة تأمل مع الصبر	31
47	ثانياً : طهر بيت النبوة	32
51	ثالثاً : الإفك معركة انتصر فيها النبي صلى الله عليه وسلم	33
53	المطلب الثالث: أثر حادثة الإفك على البيوت المؤمنة	34
53	أولاً : دور الأسرة المؤمنة في مواجهة الشبهات	35
57	ثانياً : الخيرية في حادثة الإفك	36
61	ثالثاً : التربية الخلقية للمؤمنين في آيات الإفك	37
67	المبحث الثاني : زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وإبطال التبني	38
67	المطلب الأول : تبني النبي - صلى الله عليه وسلم - لزيد ابن حارثة وإبطال التبني	39
71	المطلب الثاني : الشبهات التي أثرت حول زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بزينب بنت جحش رضي الله عنها	40
75	الفصل الرابع : خصوصيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في زواجه وأزواجه	41
76	تمهيد	42
77	المبحث الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم	43
77	المطلب الأول : ما أحل الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - من النساء	44
85	المطلب الثاني : حكم تطليق النبي - صلى الله عليه وسلم - واحدة من أزواجه	45
88	المطلب الثالث : قسمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين أزواجه بالسوية	46

91	المبحث الثاني : خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم	47
91	المطلب الأول : وعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم	48
100	المطلب الثاني : أحكام خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم	49
104	المطلب الثالث : بعض أحوالهن مع النبي صلى الله عليه وسلم	50
109	الخاتمة	51
112	فهرست الآيات	52
117	فهرست الأحاديث	53
119	المراجع والمصادر	54
A	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	55

" معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم "

إعداد

محمد سعيد محمد عنصري

إشراف

الدكتور عودة عبدالله

" الملخص "

تعدُّ الأسرة النبوية المطهرة نموذجاً هادياً لأسر المسلمين ، والحديث عنها حديث ممتع وشيق، ومن كآهل البيت يُستحلى الحديث عنهم؟! فهم صفوة الصفوة ، نستلهم منهم عبير الفضائل ، ورحيق الإيمان ، وكريم الشمائل .

وقد تناولتُ في هذه الدراسة المتواضعة ، معالم الأسرة النبوية من خلال القرآن الكريم، فبيّنتُ أولاً مفهوم الأسرة النبوية ودلالاتها في السياق القرآني ، ثم عرضتُ لحياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وجانباً من أخلاقه ، من خلال الحديث عن نشأته ومسكنه وخلقه الذي رباه الله عليه ؛ ليقندي به المؤمنون ، وينالوا بذلك رضوان رب العالمين .

ثم تحدثتُ عما اكتنف هذه الأسرة النبوية الشريفة من شبهات أثارها أعداء الإسلام ، وردّها ضعاف النفوس . وقد تمثلت في قصة المعاناة (حادثة الإفك) وأثرها على البيت الشريف وبيوت المؤمنين . وقصة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وما أثاره أهل الباطل من شبهات حول هذا الزواج والردّ عليهم .

وذكرت خصوصيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في زواجه ، وما أحله الله تعالى له من النساء ، وما اشترط عليه في الزواج .

وفي نهاية هذه الدراسة بيّنت خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أعده الله تعالى لهن من عظيم الثواب ورفيع المنزلة .

مقدمة :

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فإن كل مؤمن موحد تشرئب نفسه ، ويتطلع فؤاده وعقله لمعرفة سيرة سيد المرسلين الذي أقامه الله دليلاً هادياً ، وإماماً إليه داعياً ، ليترسم خطاه ، ويهتدي بهداه ، وينال بذلك رضا مولاه .

كما يتطلع بشغف وشوق لمعرفة سيرة البيت النبوي الكريم ، والذرية الطاهرة التي رباها النبي - صلى الله عليه وسلم - على عينية ، وأحاطها بوحي ربه ، وسقاها من معين النبوة الأصفى ، ونور الوحي الأسمى ، حتى استحقت ثناء الله تعالى $Z \quad Y \quad X \quad W \quad M$ [\ ^ _] الأحزاب : 33 ، ليكون هذا البيت الطاهر الكريم قدوة وأسوة له ولآل بيته ؛ فالنبي - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته الطيبون هم وجهة البشرية الصحيحة ، على هديها نسير ، ومن هديها نقنيس ، ولآثارها نترسم ونتبع ، وإن تكبناها فنحن في متاهات وشعاب ، وعقاب وهضاب ولهاث وأتعاب .

إن السيرة النبوية العطرة ، وتاريخ الذرية الطاهرة متجددان في الزمان ، هاديان للأجيال عبر حقبة المتطاولة ، وأمواجها المتلاحقة ، وسيكتبان في كل جيل بلغته وأساليبه ومفاهيمه .

وإسهاماً في نشر هذه السيرة الزكية ، وقد تعددت المسالك وكثرت المتاهات ، وضعف سناها في أيامنا ، وتاه جُلُّ الشباب عنها ، أقدم هذه الرسالة بعنوان (معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم) لتكون منارةً للسائرين ، وزاداً للمتقين .

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها بقبول حسن ، ويجعلها هداية للمهتدين إليه ، وأن يبارك فيها ، ويوفقنا لكل خير

مسوغات البحث ومشكلته وأهدافه :

أ - أهمية البحث :

لهذا البحث أهمية عظيمة في معرفة أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - الأسرية كما بينها القرآن الكريم ؛ لتكون بصيرة لكل مسلم في التعامل الأسري ، ولبيان خلق النبي - صلى الله عليه وسلم - في معاملاته لأهل بيته ، فيتحقق الاقتداء به في جميع شؤون حياته .

ويأتي هذا البحث لتخليص عقول المسلمين من بعض الشوائب التي وضعها المارقون في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وبيان الأباطيل الموضوعة على ضوء العرض القرآني للأسرة النبوية الشريفة ، وبيان الحق والصواب الذي ينير العقول والقلوب .

ب - مشكلة البحث :

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية :

- 1- ما حجم المساحة التي أفردها القرآن الكريم في الحديث عن الأسرة النبوية ، وما هي الجوانب التي تناولها ؟
- 2- ما الطريقة التي تناول من خلالها القرآن الكريم هذا الموضوع ؟
- 3- ما الشبهات التي ذُكرت في حق الأسرة النبوية ؟ وكيف عالجها القرآن الكريم ؟

ج - أهداف البحث :

- 1- إقامة الحجة الواضحة على وجوب الاقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في جميع أحواله إلا خصوصياته .
- 2- الردّ على ما وضعه المستشرقون ومن تبعهم وأثاروه حول أهل بيته الأطهار .
- 3- معرفة الكيفية التي من خلالها تحدث القرآن الكريم عن معالم الأسرة النبوية .
- 4- إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع له أهميته في تناول جزء من سيرته صلى الله عليه وسلم كما عرضها القرآن الكريم .

الدراسات السابقة :

بعد التحري والتدقيق والبحث بما تيسر ، تبين أنّ هذا الموضوع لم يكتب فيه بشكل دراسة قرآنية مستقلة وشاملة لذاتها ، وإنما بُحث بشكل عابر في بعض الكتب ، ومنها :

1- (محمد رسول الله) لمحمد صادق عرجون ، الذي تعرض لبيان بعض الآيات القرآنية في الموضوع ، كآيات حادثة الإفك ، ولم يذكر ولم يفصل كل الآيات الخاصة ببيت النبوة .

2- (الرسالة) و (محمد كأنك تراه) و (رحمة للعالمين) للدكتور عائض القرني ، الذي ذكر الموضوع على سبيل الوعظ والإرشاد ، وأسهب في الحديث عن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - منطلقاً في ذلك من كتب السيرة النبوية.

3- (قصص النساء في القرآن) لعبد المنعم الهاشمي ، تناول فيه حديث القرآن الكريم عن زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش - رضي الله عنها - بشكل قصصي.

4- (الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولمحات من حياته وأنوار من هديه) للدكتور عبد الحليم محمود ، ذكر فيه نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوجيهات قرآنية له دون التطرق للآيات القرآنية المتعلقة بالأسرة النبوية .

5- (مع الأنبياء في القرآن) لعفيف طيارة ، عرض فيه لمحنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في حادثة الإفك وما فيها من دروس وعبر .

6- (فقه السيرة النبوية) لمحمد سعيد رمضان البوطي ، ذكر فيه آيات حادثة الإفك بشكل فقهي دون تفصيلها ، فلم تكن دراسة قرآنية مستقلة .

7- (نساء أهل البيت) لأحمد خليل جمعة ، ذكر فيه نساء أهل البيت وأحوالهن من السيرة النبوية .

8- (الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة) للدكتور عبد الكريم زيدان ، ذكر فيه جزءاً من العرض القرآني للأسرة النبوية كحادثة الإفك والتبني ، وركّز على الدروس التي يمكن أن يُفيدها الدعاة من هذه الأحداث .

ويُلاحظ في الدراسات السابقة بشكل عام ، أنها دراسات لجوانب معينة في السيرة النبوية، ولم تتناول بشكل مستقل الأسرة النبوية من خلال حديث القرآن الكريم عنها .

أما هذه الرسالة فتمتاز بأنها : درّست الأسرة النبوية دراسة قرآنية محضة ، وتوسعت فيها، وجمعت الآيات القرآنية في الموضوع ، وردّت على الشبهات التي أُثيرت حول الأسرة النبوية الشريفة ، بل إنها ربطت الأسرة النبوية بالواقع باعتباره صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى للمسلمين .

منهجية البحث :

اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أولاً ، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن معالم الأسرة النبوية ، ثم استعنت بالمنهج التحليلي في تحليل هذه الآيات وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، وقد اتبعت في تحقيق ذلك الخطوات الآتية :

- 1- جمع الآيات التي تحدثت عن موضوع الأسرة النبوية وعزوها إلى سورها .
- 2- الرجوع إلى المصادر الرئيسية المعتمدة في هذا الموضوع لجمع وتوفير المادة العلمية ذات الصلة به ، وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة منها والحديثة.
- 3- اتباع الأسلوب العلمي بتوثيق المعلومات بشكل علمي دقيق وعزو الأقوال إلى أصحابها .
- 4- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي ، ليخرج البحث بصورة جيدة وسهلة المنال .

حدود الدراسة :

هذه الدراسة تدور في نطاق النصوص القرآنية ، لأنها ملتزمة بمنهجية التفسير الموضوعي للقرآن ، ولكن لا يمنع ذلك من الاستشهاد بالأحاديث النبوية على أن لا تستقل بعناوين خاصة .

خطة البحث

الفصل الأول : الأسرة النبوية (مفهومها وملاحها) ، وفيه :-

أولاً : تمهيد

ثانياً : الأسرة لغة واصطلاحاً

ثالثاً : الأسرة النبوية

رابعاً : الأسرة النبوية في السياق القرآني

الفصل الثاني : حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخلاقه في القرآن الكريم، وفيه :-

المبحث الأول : نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : مسكن النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث : الأسرة النبوية في مواجهة الشبهات ، وفيه :

المبحث الأول : حادثة الإفك وأثرها على الأسرة النبوية

المبحث الثاني : زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش رضي الله عنها،

وإبطال التبني

الفصل الرابع : خصوصيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في زواجه وأزواجه ، وفيه :-

المبحث الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الأول

الأسرة النبوية (مفهومها و ملامحها)

أولاً : تمهيد

ثانياً : الأسرة لغة واصطلاحاً

ثالثاً : الأسرة النبوية

رابعاً : الأسرة النبوية في السياق القرآني

الفصل الأول

الأسرة النبوية (مفهومها و ملامحها)

أولاً : تمهيد

اصطفى الحق - سبحانه- من البشرية نماذج هادية، تنير دروب الحياة، وتهدى السالكين مسالك النجاة ، واصطفى الحق -جل وعلا- محمداً بن عبدالله ليكون نبراس البشرية الأسمى، وهادي هداتها الأعلى ، إنه خلاصة الكمال الإنساني وقمته حساً ومعنى ، فهو صفة الصفوة وخالصة الطاهرين وقوة السائرين (1).

جاء عنه - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق قوله : ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)) (2) .

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)) (3) .

فكان من طيب عنصره صلوات الله وسلامه عليه، أن تقلب في الأصلاب الزاكية والأرحام الطاهرة ، إلى أن وُلِدَ من عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وأمنة بنت وهب، وهما مثال العفة والطهارة والشرف، في مجتمع جانح منحرف، شاعت فيه صنوف الرذيلة، ولكن الله تعالى حمى هذه السلالة الشريفة والدوحة الطاهرة العفيفة.

وكان من طيب عنصره المادي وكماله الخَلْقِي أنه أجمل الناس مظهراً ، وأطيبهم مخبراً، أما جمال مظهره فهو مقياس الجمال وقمة الحسن والكمال ، لكنه جمال الرجولة .

1- انظر: حمادة ، فاروق: الدوحة النبوية الشريفة ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، ص31 .

2- رواه مسلم ، انظر : مسلم بن الحجاج النيسابوري : صحيح مسلم بشرح النووي ، 16 جزء ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1999م ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي - صلى الله عليه وسلم رقم الحديث : (4221) ، ج-15 ، ص38 .

3- رواه البخاري . انظر : البخاري ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد بن زهير ناصر الناصر ، ط1 ، بيروت : دار طوق النجاة ، 1422هـ ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3557) ، ج-4 ، ص189 .

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ)) (1) .

وقال: ((... رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ)) (2) .

وقال كعب بن مالك الأنصاري: ((... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَتَارَ وَجْهَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ)) (3) .

ومن كمال جماله طيب ريحه كما أخبر بذلك أنس بن مالك رضي الله عنه حين قال : ((مَا مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيْبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرَفًا)) (4) قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) (5) .

أما أخلاقه الشريفة ، فيكفي للدلالة عليها قوله تعالى : $N n m l k O$ القلم: 4 ، فقد اجتمعت مكارم الأخلاق فيه ، فما خُلِقَ دعا إليه القرآن إلا كان أول عامل به وداع إليه، وما خلق حذر منه القرآن إلا كان أول مجتنب له وناه عنه ، فقد زكى الله تعالى استقامته و كلامه وعلمه وفؤاده وبصره و صدره و خلقه ورفع ذكره وزكاه كله بقوله : $ba \quad \quad M$: $L d \quad c$ الأنبياء: 107 .

-
- 1- رواه البخاري . صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3549) ، ج4 ص188 .
 - 2- رواه البخاري . صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3551) ، ج4 ص188 .
 - 3- رواه البخاري . صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3556) ، ج4 ، ص 189 .
 - 4- العَرَفُ: الريح الطيب . انظر : ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، 15 جزءاً ، تحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ط3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2000م ، ج6 ، ص706 .
 - 5- رواه البخاري . صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3297) ، ج4 ، ص201 .

ثانياً : الأسرة لغة واصطلاحاً

الأسرة لغة :

أصل كلمة الأسرة مأخوذ من الأسر بمعنى الشدّ والعصب (1) .

قال الراغب الأصفهاني : "أسرة الرجل من يتقوى به ، قال تعالى : 0 4

N5 الإنسان: 28 ، إشارة إلى حكمته - تعالى - في تراكيب الانسان المأمور بتأملها وتدبرها

في قوله تعالى : M r u s l v الذاريات: 21 " (2) .

وقال ابن منظور : " وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأذنون لأنه يتقوى بهم " (3) .

" لفظ الأسرة لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، كذلك لم يستعمله الفقهاء في عباراتهم فيما نعلم . والمتعارف عليه الآن إطلاق لفظ (الأسرة) على الرجل ومن يعولهم من زوجه وأصوله وفروعه . وهذا المعنى يعبر عنه الفقهاء قديماً بألفاظ منها : الآل ، والأهل ، والعيال . كقول النفراوي المالكي : من قال : الشيء الفلاني وقف على عيالي ، تدخل زوجته في العيال . وفي ابن عابدين : أهله زوجته ، وقالوا ، يعني صاحبي أبي حنيفة : كل من في عياله ونفقته غير ممالئكه ، لقوله تعالى : M l k M الشعراء: ١٧٠ " (4) .

يتبين مما سبق أن المقصود بالأسرة في اللغة جماعة الانسان الذين يتقوى بهم ويحتمي

بهم " فالانسان لا يكون قوياً عزيزاً في منعة إلا إذا كان في أسرة تحصنه وتمنعه " (5) .

1- انظر : الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني : تاج العروس ، 10 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1406 هـ ، ج3 ، ص13 .

2- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب : المفردات في غريب القرآن ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1999 م ، ص 27 .

3- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب . 12 جزءاً ، بيروت : دار صادر ، ج4 ، ص 19 .

4- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية : الموسوعة الفقهية الكويتية ، 45 جزءاً ، ط2 ، الكويت : دار السلاسل ، 1427 هـ ، ج4 ، ص223 - 224 .

5- فرج ، السيد أحمد : الأسرة في ضوء الكتاب والسنة ، ط1 ، مصر : دار الوفاء ، 1407 هـ ، ص6 .

الأسرة اصطلاحاً:

من المعروف أن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع الكبير ، لأنها تمثل جزءاً منه ، فهي بهذا : مجموعة الأفراد الذين ارتبطوا برابط إلهي هو رباط الزوجية ⁽¹⁾.

والناظر في تعريفات الأسرة يرى أن بعضها يتسع ، وبعضها يضيق ليحصرها في الزوجين والأولاد. والواقع أن الأسرة قد تكبر وقد تصغر ، إلا أنها في الغالب تمثل المجموعة المتناسلة من الأب والأم فهما الرباط بين هذه المجموعة سواء كبرت أو صغرت ، وهم غالباً يعيشون تحت سقف واحد وتجمعهم مصالح مشتركة .

1- انظر : حمادي ، عبد المحسن : مدخل إلى أصول التربية ، ط4 ، الكويت : كويت تايمز ، 1995 م ، ص90 .

ثالثاً : الأسرة النبوية

أما الأسرة النبوية فلا أريد بها ذلك المفهوم الواسع الذي يشمل كل أقارب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بل أقصد هنا والدَي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأولاده وأزواجه ويدخل معهم بعض من أقاربه كأعمامه .

ولا خلاف أنه - عليه الصلاة والسلام - ولد بجوف مكة وأن مولده كان عام الفيل. ولكن اختلف في وفاة أبيه عبدالله ، هل توفي قبل ولادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أم بعدها؟ عَلَى قَوْلَيْنِ (1) أَصَحَّهُمَا : أَنَّهُ تُوُفِّيَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَلٌ . وَالثَّانِي : أَنَّهُ تُوُفِّيَ بَعْدَ وِلَادَتِهِ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ . ولا خلاف أن أمه - آمنة بنت وهب - ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء (2) وهي منصرفه من زيارة أخواله ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين (3).

أما زوجاته - صلى الله عليه وسلم - فهن على الترتيب (4):

1- خديجة بنت خويلد، تزوجها وهو في خمس وعشرين من سنه، وهي في الأربعين، وهي أول من تزوجه من النساء، ولم يتزوج عليها في حياتها ، وكان له منها أبناء وبنات. أما الأبناء فهم : القاسم ، وعبدالله وماتوا وهم صغار . أما البنات فهن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وتوفيت السيدة خديجة رضي الله عنها في السنة العاشرة للبعثة .

1- توسع صاحب السيرة الحلبية في الموضوع أكثر من ذلك فنكر ستة أقوال :

• توفي بعد مضي شهرين من الحمل .

• توفي قبل أن يولد النبي - صلى الله عليه وسلم - بشهرين .

• توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بشهرين .

• توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر .

• توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بثمانية عشرة شهراً .

• توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بثمانية وعشرين شهراً .

[انظر : الحلي ، علي بن برهان الدين : السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ، 3 أجزاء ، القاهرة : دار الاستقامة ، 1962 م ، ج1 ، ص 55] .

2- هي قرية من أعمال الفرع في المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة 23 ميلاً . انظر : الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله : معجم البلدان ، 5 أجزاء ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ج1 ، ص 102 .

3- انظر : ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط3 ، 6 أجزاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ج1 ، ص 73 .

3- انظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : الفصول في سيرة الرسول ، ط3 ، عمان : دار أسامة للنشر ، 1998م ، ص 177 .

4- انظر : المباركفوري ، صفي الرحمن : الرحيق المختوم ، قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 2007م ، ص 473 - 474 .

2- سودة بنت زمعة، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بنحو شهر، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، فمات عنها. توفيت بالمدينة في شوال سنة 54هـ.

3- عائشة بنت أبي بكر الصديق، المبرأة من فوق سبع سماوات، عرضها عليه الملك قبل نكاحها في سَرَقةٍ من حرير⁽¹⁾، وقال: ((هذه زوجتك))⁽²⁾، فتزوجها في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهي بنت ست سنين، وبني بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر في المدينة، وهي بنت تسع سنين، وكانت بكرًا ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام⁽³⁾ توفيت في السابع عشر من رمضان سنة 57هـ أو 58هـ ودفنت بالبقيع.

4- حفصة بنت عمر بن الخطاب، تأيمت من زوجها خنيس بن خذافة السهمي بين بدر وأحد، فلما حلت تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعبان سنة 3هـ توفيت في شعبان سنة 45هـ بالمدينة، ولها ستون سنة، ودفنت بالبقيع.

5- زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم، كانت تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة 4هـ. ماتت بعد الزواج بنحو ثلاثة أشهر في ربيع الآخر سنة 4هـ، فصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ودفنت بالبقيع.

6- أم سلمة هند بنت أبي أمية، كانت تحت أبي سلمة، وله منها أولاد، فمات عنها في جمادى الآخر سنة 4هـ، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ليال بقين من شوال السنة نفسها، وكانت من أفقه النساء وأعقلهن. توفيت سنة 59هـ، وقيل: 62هـ، ودفنت بالبقيع، ولها 84 سنة.

1- سَرَقة : قطعة . انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ 12 ، ص 495 .
2- رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب كشف المرأة في المنام ، رقم الحديث : (7011) ، جـ 8 ، ص 97 .
3- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)) . رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ، رقم الحديث : (3770) ، جـ 5 ، ص 29 .

7- زينب بنت جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمه، وهي بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب، كانت تحت زيد بن حارثة - الذي كان يعتبر ابناً للنبي صلى الله عليه وسلم - فطلقها زيد، فلما انقضت العدة أنزل الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم U M X W V Y L Z الأحزاب: ٣٧، وفيها نزلت من سورة الأحزاب آيات فصلت قضية التبني - وسنأتي على ذكرها - تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة. وقيل: سنة 4هـ، وكانت أعبد النساء وأعظمهن صدقة، توفيت سنة 20هـ ولها 53 سنة. وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنت بالبقيع.

8- جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من خزاعة، كانت في سبي بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، ففوض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابتها، وتزوجها في شعبان سنة 6هـ. وقيل: سنة 5هـ، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أعظم النساء بركة على قومها. توفيت في ربيع الأول سنة 56هـ. وقيل: 55هـ ولها 65 سنة.

9- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، كانت تحت عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله وتصر، وتوفي هناك، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها، فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية الضمري بكتابه إلى النجاشي في المحرم سنة 7هـ. خطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وأصدقها من عنده أربعمئة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة. فابتنى بها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد رجوعه من خيبر. توفيت سنة 42هـ، أو 44هـ، أو 50هـ.

10- صفية بنت حيي بن أخطب سيد بن النضير من بني إسرائيل، كانت من سبي خيبر، فاصطفاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة 7هـ، وابتنى بها بسد الصهباء على بعد 12 ميلاً من خيبر في طريقه إلى المدينة. توفيت سنة 50هـ وقيل: 52هـ، وقيل 36هـ، ودفنت بالبقيع.

11- ميمونة بنت الحارث، أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث، تزوجها في ذي القعدة سنة 7هـ، في عمرة القضاء، بعد أن حل منها على الصحيح. وابتنى بها بسرف على بعد 9 أميال من مكة، وقد توفيت بسرف سنة 61هـ، وقيل: 63، وقيل: 38هـ ودفنت هناك، ولا يزال موضع قبرها معروفاً.

وقد وطئ النبي - صلى الله عليه وسلم - بملك اليمين مارية بنت شمعون القبطية وريحانة بنت زيد القرظية .

* أما مارية فقد أهداها المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل وصولها المدينة المنورة أسلمت ، ولما وصلت أنزلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - منزلاً كريماً عند حارثة بنت النعمان ، ثم حولها إلى مكان يحمل اسمها ، فكان يُقال له " مشربة أم ابراهيم في العالية " (1) .

في شهر ذي الحجة من السنة الثامنة للهجرة ولدت مارية طفلاً جميلاً شديد الشبه لأبيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمّاه يوم سابعه ابراهيم تيمناً بأبيه ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، وبهذه الولادة أصبحت مارية حرة (2) .

وعاش ابراهيم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة وبعض السنة ، ومات في شهره الثامن عشر ، وكان وفاته يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلت من ربيع الأول سنة عشر للهجرة (3) . ولمارية أم ابراهيم شأنٌ كبير في أحداث السيرة النبوية ، كما لها شأنٌ عظيم في الآيات المباركة ، فقد أنزل الله عز وجل سورة التحريم بسببها (4) . وفي هذا إشارة كريمة إلى مكانتها وكرامتها .

عاشت مارية رضي الله عنها في ظلال الخلافة الراشدة قرابة خمس سنين ، ولما كان المحرم من السنة السادسة عشر للهجرة شعرت بالمرض ، وأحست بدنو الأجل ، ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صعدت روحها إلى بارئها راضية مرضية ، وصلى عليها عمر وكثير من الصحابة ، ودفنت بالبقيع إلى جانب نساء أهل البيت النبوي ، وإلى جانب ابنها ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم (5) .

-
- 1- انظر : الحلبي : السيرة الحلبية ، جـ3 ، ص419 . الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق الدكتور عمر ترميس ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1987م ، ص597 .
 - 2- انظر : ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتاب العربي ، جـ4 ، ص391 .
 - 3- انظر : البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر : أنساب الأشراف ، 12 جزءاً ، تحقيق محمد حميد الله ، مصر : دار المعارف ، جـ1 ، ص451 .
 - 4- انظر : الواحدي ، أبو الحسن علي بن محمد النيسابوري : أسباب النزول ، تحقيق الدكتور مصطفى البغار ، ط1 ، دمشق : دار ابن كثير ، 1988م ، ص357 - 358 .
 - 5- انظر : ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري : الطبقات الكبرى ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار صادر ، جـ8 ، ص216 .

* أما ريحانة بنت زيد القرظية كانت مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم . قُتِل زوجها في غزوة بني قريظة ، فوَقعت في السبي ، فكانت صفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم ذاك ، فأرسلها إلى منزل الصحابية أم المنذر سلمة بنت جحش الأنصارية ، وأسلمت بعد ذلك ، وأعرس بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بيت أم المنذر في المحرم من سنة ست للهجرة (1) .

ولم تكن حياة ريحانة طويلةً في رحاب البيت النبوي الطاهر ، وإنما لقيت وجه ربها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وماتت عندما رجع من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة (2) ، ودفنها بالبقيع (3) .

أما أولاده : فقد اتفق العلماء أن للنبي - صلى الله عليه وسلم - ستة أولاد هم : القاسم ، وإبراهيم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وعبدالله ويسمى بالطيب والطاهر لأنه ولد بعد النبوة . وكان يكنى - عليه الصلاة والسلام - بأبي القاسم أكبر أولاده وأول من مات منهم ، ولد بمكة قبل النبوة ومات صغيراً ، وقيل عاش حتى بلغ سن التمييز (4) .

ولما مات القاسم قال المشركون : إن محمداً أبتراً ؛ أي مقطوع ، وزعيم هذا القول هو العاص بن وائل السهمي ، إذ كان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه فإنه أبتراً لا عقب له ، فإن هلك انقطع ذكره ، فأنزل الله تعالى : $M \wedge _ \text{La}$ الكوثر: 3 وشأنك هو مبعضك وعدوك (5) . وهذا يدل على أن القاسم قد توفي بعد النبوة والبعثة .

وأما بناته الشريفات فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه صلوات الله وسلامه عليه ، وأكبرهن زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ريحانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

-
- 1- انظر : ابن سيد الناس ، محمد بن عبدالله بن يحيى : **عيون الأثر في فنون المغازي والسير** ، جزءان ، ط3 ، بيروت: دار الأفاق ، 1982م ، جـ2 ، ص284 .
 - 2- انظر : ابن سعد : **الطبقات** ، جـ8 ، ص130 .
 - 3- انظر : ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد : **تفليح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير** ، مصر : مكتبة الآداب ، ص 23 .
 - 4- انظر : ابن قيم الجوزية : **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، جـ1 ، ص 78 .
 - 5- انظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : **تفسير القرآن العظيم** ، ط1 ، 5 أجزاء بيروت : دار صادر ، 1999م ، جـ5 ، ص265 . السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، جـ8 ، ص646 - 647 .

وسلم - وسيدة نساء أهل الجنة⁽¹⁾ رضي الله عنهن . فأما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها ؛ أبو العاص بن الربيع، وأما رقية وأم كلثوم فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه الواحدة بعد الأخرى، وأما فاطمة فتزوجها علي بن أبي طالب بين بدر وأحد، ومنها كان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم.⁽²⁾

1- انظر : البخاري : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، رقم الحديث : (3353) ، ج5 ، ص20 .

2- انظر : المباركفوري ، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم : الرحيق المختوم ، الرياض : مكتبة نزار مصطفى الباز ، 1424 هـ ، ص44 . الدولابي ، محمد بن الصباح : الذرية الطاهرة ، ط1 ، الكويت : الدار السلفية، ص42 .

رابعاً : الأسرة النبوية في السياق القرآني

تحدث القرآن الكريم عن الأسرة النبوية في سياقات مختلفة أجملها في الآتي :

أولاً : ذكر موطنه ومنزله ومكان ولادته في قوله تعالى: J I HG F E D C B M :
LNML K :البلد:1-3. كما ذكر القرآن الكريم نشأته ، ووصف عيشه قبل بعثته وفقره المادي في قوله تعالى : Z Y M [\] ^ _ ` a b c d L الضحى: 6-8.
وتحدث القرآن الكريم عن نقائه وصفائه وتطهير قلبه ونفسه من حظوظ الشيطان بقوله سبحانه:
U M V W X Y Z { | } ~ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٢﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ L الشرح: ١ - ٤ .
وتحدث - سبحانه وتعالى - عن بيوته ومسكنه فقال سبحانه: O إِنَّ أَلْيَبَ يُتَادُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ N الحجرات: ٤ .

ثانياً : تحدث القرآن الكريم عن أبنائه بقوله : X W M Y Z L الأحزاب: ٤ وقوله:
O مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ N الأحزاب: 40 ،
وهذا الحديث جاء في معرض إبطال التبني وآثاره، وإثبات النسب الحقيقي. وقد جاءت إشارة
إلى الحديث عن أبناء النبي - صلى الله عليه وسلم - في سورة الكوثر⁽¹⁾ في معرض الرد على
أقوال المشركين وعدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : أكثر القرآن الكريم من الحديث عن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بصورة
عامة وما لهن وما عليهن فقال سبحانه : M i j k l m n o p
r q s t u v w x y z { | } ~ وَنَاتِ خَلْنِكَ أَلْتِي
هَاجِرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ © لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ
عَلِمْنَا مَا فَارَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ " # \$ % & ') + , - . / O 3 2 1
9 8 7 6 5 4 : ; < = ? @ B A C I F E G
H J I K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\]

1- الكوثر من الكثرة : وهو الخير الكثير في الدنيا والآخرة . [انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ5 ، ص264 . الصوّاف ، محمد محمود : فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيان ، ط1 ، مكة : دار العلم ، 1985م ، ص536 . الزبيدي : تاج العروس ، جـ3 ، ص516 . ابن منظور : لسان العرب ، جـ5 ، ص131] .

^ _ ` a b c L الأحزاب: ٥٠ - ٥٢ ، وفي معرض هذا الحديث نظّم الله تعالى
 علاقة المسلمين ببيت النبوة بقوله M: o n m l k j i h g f e
 { z y x w v u t s r q p } | { ~ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ
 يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِيءُ مِنْكُمْ ۖ لَا يَسْتَعِجِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ ۗ
 ذَلِكَمْ أَطَهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۗ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
 ذَلِكَمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا L الأحزاب: ٥٣ .

وقد وعظ الله تعالى أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فخيرهن بين الدنيا والآخرة،
 وبين أحكاماً خاصة بهن وذلك كله في سورة الأحزاب M { | } ~ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَأَمْرَكُمُ النَّبِيَّ ۖ جَمِلاً ﴿٢٨﴾ ... n o m l k j i h g f e d c b a
 { z y } | { ~ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا L الأحزاب: ٢٨ - ٣٨ .

رابعاً: تحدث القرآن الكريم عن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بشكل خاص،
 فتحدث عن السيدة عائشة الطاهرة العفيفة عندما برأها من الإفك فقال سبحانه وتعالى: M !
 & % \$ # " (' * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ; : < > = ? @ L النور: 11 إلى قوله تعالى M
 اللَّطِيفِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ ۗ | ۗ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ L النور: 26 .

وتحدث أيضاً عن زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من السيدة زينب بنت جحش
 رضي الله عنها M ; < = > ? @ A B C D E F G H I
 ^] \ [Z Y X W V U S R Q P O N M L K J
 u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _
 { z y w v } | { ~ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا L الأحزاب: 37-38 . وقد تحدث أيضاً عن
 حفصة بنت عمر وعائشة ومارية القبطية - رضي الله عنهن - في بداية سورة التحريم في
 معرض عتاب النبي - ρ - تحريم شيء على نفسه ، فقال تعالى: M ! " # \$ % & ' (* + , - . / O L التحريم: 1 .

خامساً: وقد تحدث القرآن الكريم عن وعظ النبي - صلى الله عليه وسلم - لأزواجه وبناته
ونساء المؤمنين، وأمرهن بالحجاب في سورة الأحزاب { z y w v u t s | } ~ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا L الأحزاب: 59 .

وسياتي - بإذن الله عز وجل - الحديث عما تقدم بالتفصيل ؛ إذ إنّ البشرية التائهة اليوم،
الحائرة بالأمس ، حقيق عليها أن تفيء إلى دوحة الأسرة النبوية الشريفة فتستظل بوارف
ظلالها.

وحقيق على الأمة الإسلامية اليوم ، وأهل العلم منها خاصة أن يعرفوا بهذه الأسرة
المباركة ، ويقدموا هديها وأخلاقها ومكارمها وسيرتها في مؤتمرات وندوات ولقاءات ودراسات،
لمن يعرفها تنكيراً ولمن يجهلها تعليماً ، ولهؤلاء وأولئك تفهيماً ؛ لتكون بلسماً يشفي العليل ،
ونبراساً يهديهم السبيل .

الفصل الثاني

حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخلاقه في القرآن الكريم

المبحث الأول : نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : مسكن النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول

نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

نشأ صلى الله عليه وسلم يتيماً كما يدل على ذلك قوله تعالى: $L \setminus [Z \ Y M$ الضحى: 6. واليتيم: هو الصبي الذي مات أبوه (1). وكان أبو النبي - صلى الله عليه وسلم - قد توفي وهو جنين في بطن أمه كما سبق (2).

وفي الآية السابقة امتنان من الله تعالى على نبيه الكريم بأن آواه وهداه إلى طريق الحق، وأنشأه على كمال الإدراك والاستقامة، والتربية الكاملة، على الرغم من كونه يتيماً.

وقال تعالى: $M \quad _ \quad \wedge \quad L \setminus$ الضحى: ٧، قال الراغب: " وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيراً، صحّ أن يُستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نُسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بوئٌ بعيد، إلا ترى أنه قال في النبي صلى الله عليه وسلم: $M \quad _ \quad \wedge \quad L \setminus$ أي غير مهتدٍ لما سبق إليك من النبوة" (3).

وذكر القرطبي في معنى ضالاً في قوله تعالى: $M \quad _ \quad \wedge \quad L \setminus$ أقوالاً منها (4):

- * ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهذاك الله إليها .
- * غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة .
- * وجدك في قوم ضلالاً فهدهم الله بك .
- * وجدك طالباً للقبلة فهذاك إليها .
- * وجدك ضالاً إلى الهجرة فهذاك إليها .
- * وجدك محباً للهداية فهذاك إليها، ويكون الضلال بمعنى المحبة .
- * لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إلي .

1- انظر: ابن منظور: لسان اللسان، ج 2، ص 768 .

2- انظر ص 12 .

3- الراغب: المفردات في غريب القرآن، ص 301 .

4- انظر القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، عشرون جزءاً، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط 1، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004 م، ج 20، ص 87-88.

والراجح كما يبدو لي هو القول الأول ، أي أنه - صلى الله عليه وسلم - كان ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة ، فهده الله تعالى وجعله نبياً ورسولاً ، يدل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان قبل البعثة كثير التفكر في الكون (1) .

قال سيد قطب : " والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هي المنة الكبرى ، التي لا تعدلها منة ؛ وهي الراحة والطمأنينة من الفلق الذي لا يعدله قلق ؛ ومن التعب الذي لا يعدله تعب ، ولعلها كانت بسبب ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعانيه في هذه الفترة ، من انقطاع الوحي وشماتة المشركين ووحشة الحبيب من الحبيب . فجاءت هذه تذكره وتطمئنه على أن ربه لن يتركه بلا وحي في التيه وهو لم يتركه من قبل في الحيرة والتيه! " (2) .

إن نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل البعثة ، ولم يزل العلماء يجعلون من تواتر حال استقامته ونزاهته عن الرذائل قبل نبوته دليلاً من جملة الأدلة على رسالته ، بل تكلم القرآن الكريم عنه مبيناً للمشركين حالته قبل بعثته فقال سبحانه :
M X Y Z [\] _ L يونس: 16 . وقال : M- لَمَّ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ L المؤمنون: 69 ، ولأنه لم يؤثر أن المشركين أفتحوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في ما أنكروا عليهم من مساوئ أعمالهم بأن يقولوا : فقد كنت تفعل ذلك معنا .

ويبين لنا القرآن الكريم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نشأ فقيراً ، وهذا يدل عليه قوله تعالى : M b c d الضحى: 8 .

قال ابن الجوزي في زاد المسير : " قوله تعالى M b c قال أبو عبيدة : ذا فقر ... قال ابن قتيبة : العائل : الفقير ، كان له عيال أو لم يكن . يُقال عال الرجل : إذا افتقر . وأعال : إذا كثر عياله (3) .

1- تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " ... ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليلي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك .." رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : 3 ، ج1 ، ص7 .
2- قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، 6 أجزاء ، ط1 ، القاهرة : دار الشروق ، 1997 م ، ج6 ، ص3927 .
3- ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد : زاد المسير في علم التفسير ، 7 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1994م ، ج8 ، ص282 .

قال ابن عاشور : " قد أغناه الله غنايين : أعظمهما غنى القلب ؛ إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا ، وغنى المال حين ألهم خديجة مقارضته في تجارتها " (1) .

1- ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ، 30 جزءاً ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع ، جـ16 ، ص302 .

المبحث الثاني

مسكن النبي صلى الله عليه وسلم

ولد النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة المكرمة في شعب بني هاشم في عام الفيل في الدار التي صارت تُدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج في نهار يوم الإثنين (1) الثاني عشر من ربيع الأول (2) الموافق عشرين نيسان 571 م (3).

وكانت مكة موطنه الحبيب إلى قلبه، كما جاء عن أبي هريرة قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على الحزورة (4) فقال : ((وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ)) (5).

فهي خير بقاع الله سبحانه وتعالى ، وقد تحدث القرآن الكريم عن موطنه - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من موضع ، وأكد سبحانه أن مكة المكرمة هي البلد الأمين التي ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال سبحانه : BM C D E F G H I J L : البلد: ١ - ٢ ، فهذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى ، لينبهه على عظمتها .

ويقول سبحانه : M ! " # \$ % & ' (L) : التين: ١ - ٣ ، فقد أقسم سبحانه وتعالى بالبلد الأمين لعظم قدرها وإكراماً لنبيه صلى الله عليه وسلم .

- 1- عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن صوم الاثنين؟ فقال : ((فيه ولدت وفيه أنزل علي)) . رواه مسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ، رقم الحديث : (1162) ، ج2 ، ص818 .
- 2- انظر : الحلبي : السيرة الحلبيّة ، ج1 ، ص63 - 65 . المباركفوري : الرحيق المختوم ، ص54 .
- 3- انظر : السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ج2 ، ص158 .
- 4- (الحزورة) : على وزن القسورة موضع بمكة . والحزورة في الأصل بمعنى النل الصغير ، سميت بذلك لأنه كان هناك نل صغير ، وقيل لأن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد كان ولي أمر البيت بعد جرحهم فبنى صرحاً كان هناك وحصل فيها أمة يقال لها حزورة فسميت حزورة مكة بها . [انظر : المباركفوري ، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة ، رقم الحديث : 4182 ، ج 10 ، ص 294] .
- 5- رواه الترمذي وقال : " حديث حسن غريب صحيح " . الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، الجامع الصحيح ، 10 أجزاء ، حققه عزت عبد القادر عطا ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية 1996م ، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة ، رقم الحديث : 4182 ، ج10 ، ص 294 . قال الألباني : " اسناده صحيح " . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين : السلسلة الصحيحة ، 6 أجزاء ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ج6 ، ص 356 .

يقول القرطبي : " أقسم الله تعالى بجبل دمشق لأنه مأوى عيسى - عليه الصلاة والسلام - وبجبل بيت المقدس لأنه مقام الأنبياء - عليهم السلام - وبمكة لأنها أثر إبراهيم ودار محمد عليهما الصلاة والسلام " (1) .

وقد وعد الله سبحانه وتعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يرده إلى موطنه مكة بعد أن أخرجه قومه منها مكرهاً ، فقال سبحانه : M ! " # \$ % & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ [\] ^ _ ` { | } ~ ` ((' : إلى مكة (2) .

أما بيوته - صلى الله عليه وسلم - في المدينة فقد ذكرها القرآن الكريم في سورة الحجرات التي رسمت معالم المجتمع المثالي للمسلمين ، حيث احتوت الآداب والإرشادات والتوجيهات والضوابط التي تجعل البيت المسلم مثالياً طاهراً ، إنها حجرات الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ، إن داراً سكنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأفضل دار بل وأكرم دار في الوجود .

وسورة الحجرات هذه السورة المباركة التي خلدت هذا المكان المبارك ، حيث أصبحت الحجرات جزءاً من السيرة النبوية ، ولا يتناول الباحث سورة الحجرات وما ورد فيها من سمو التشريع والآداب الاجتماعية ، وإنما يركز على الحجرات حتى يعلم المسلمون شيئاً من سيرة بيوت النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول سبحانه وتعالى : M إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [الحجرات:4 . والحجرة : النفعة التي يحجرها المرء لنفسه كي لا يشاركه فيها غيره ، من الحجر وهو المنع وجمعت لأن كلاً من أمهات المؤمنين لها حجرة (3) .

1- القرطبي : الجامع الأحكام القرآن ، ج-20 ، ص103 .

2- رواه البخاري: صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب إن الذي فرض عليك القرآن ... الآية ، رقم الحديث: (4773) ، ج-6 ، ص 113 .

3- انظر : القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، 6 أجزاء ، ضبطه وخرّج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1416هـ ، ج-6 ، ص159 . الفوجوي ، محمد ابن مصلح الدين مصطفى الحنفي : حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ج-7 ، ص638 .

وكانت بيوته عليه الصلاة والسلام تسعةً بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد.
وقال الحسن البصري : " كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق فأنال السقف
بيدي ، وكانت حجره - عليه السلام - أكسية من شعر مربوطة بخشب عرعر (1) " (2) .

وقد تنسب هذه الحجرات أو البيوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : M
e f g h i j k l m n o p q r s t الأَحزاب: 53 ،
وبيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - هي أيضا مقر أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى ،
فقال سبحانه : WM X Y Z [\] ^ _ ` الأَحزاب: 33.

هذه الحجرات سكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومأواه . حجرات أو بيوت
اتصلت تربتها بالسماء حيث تنزل الوحي . وهي إحدى المواقع الطاهرة التي تظهر لنا جوانب
من سيرته - صلى الله عليه وسلم - وتجتلي منه شخصيته - عليه الصلاة والسلام - ليكون
قدوة مثلى للفرد وللبيت المسلم ، بل قدوة للبشرية جمعاء (3) .

وقد كانت بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - نموذجا للبيت الإسلامي ، وعلى الرغم
من صغر حجمها ، وتواضع بنائها ، فإنها امتلأت بالسعادة والهناء ، وظلت المثل الأعلى
لبيوت الصحابة - رضوان الله عليهم - ولكل من أراد أن يقيم لنفسه بيتا من المسلمين بعد ذلك .

قال عطاء : " سمعت سعيد بن المسيب يقول : " والله لو ددت أنهم تركوها على حالها
ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله - صلى الله
عليه سلم - في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر " (4) .

1- العرعر : شجرة السرو . انظر : الزاوي ، الطاهر أحمد : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير
وأساس البلاغة ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1979م ، ج3 ، ص187 .
2- انظر : الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي : سبل الرشاد في سيرة خيرة العباد ، 11 جزءاً ، تحقيق : عادل أحمد
عبدالموجود و علي محمد معوض ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1993م ، ج3 ، ص348 .
3- انظر : الفايد ، تنيضب : مقال بعنوان " بيوت النبي صلى الله عليه وسلم " جريدة الرياض اليومية / العدد
14291 / 10 أغسطس 2007 .
4- الشامي : سبل الرشاد في سيرة خير العباد ، ج3 ، ص349 .

وارتبطت بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعبادة والطاعة لله تعالى ، وتمثل فيها التواضع والبساطة والزهد في متاع الحياة الدنيا .

وإن كانت حال بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه تمتلئ بالزهد والبساطة، فلا يعني هذا أن الإسلام يحول بين أن ينعم الإنسان ببيت رحب جميل ، بل يرى الإسلام أن هذا رزق من الله تعالى للإنسان ونعمة منه وفضل ، فانه تعالى يقول : 9 8 7 6 5 4 3 M : LN ML K J IH GF E D CB A @? = < ; : الأعراف: ٣٢ ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ((أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح، والمركب الهنيء))⁽¹⁾ ، وعلى الإنسان أن يحسن استغلال هذا النعيم ؛ لأنه سيُسأل عنه يوم القيامة ، قال تعالى : M : { z y M : | { L } التكاثر: 8.

والأسرة المسلمة شأنها شأن غيرها من أسر البشر ، تميل الى أن يكون بيتها من خير البيوت سعة وجمالاً ، ومملوءاً بالنعيم والخيرات ، قال تعالى : M : t s r q p u { z y x w v u ~ ذلك متع الحياة الدنيا والله عنده © المآب L آل عمران: ١٤ .

والأسرة المسلمة تعلم أن السعادة الحقيقية في أن تجعل من بيتها - صغر أم كبر - جنة عامرة بالإيمان ، هانئة بالقناعة ، ترفرف عليها الطمأنينة والسكينة ، ويتنسم أفرادها الأدب الرفيع والسلوك القويم ، وهي في كل أحوالها تدرک ، أن ما هي فيه نعمة من نعم الله التي تستوجب الشكر ، فشكر النعمة ينميها ويزكيها ويزيدها ، قال سبحانه وتعالى : M : = > @? A B D FE G H L إبراهيم: 7 .

1- ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، 16 جزءاً ، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م ، كتاب النكاح ، باب ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا ، رقم الحديث 4032 ، ج 9 ، ص 340 . قال الألباني : " وهذا سند صحيح على شرط الشيخين". انظر : الألباني : السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث 282 ، ج1 ، ص 571 .

والأسرة المسلمة لا تتخذ من نعم الله عليها مجالاً للكبر والتعالي على الآخرين، بل تُظهر فضل الله عليها ونعمه ؛ استجابة لقوله تعالى: $L S r q p M$ الضحى: ١١ ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))⁽¹⁾ .

وعلى الأسرة المسلمة ألا تتشغل بنعيم الدنيا عن طاعة الله تعالى ، وألا يكون بيتها في الدنيا هو همها الأكبر ، الذي يحول بينها وبين العمل لبيتها في الجنة - إن شاء الله تعالى - كحال بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

1- رواه الترمذي وقال "حديث حسن" ، انظر : **الجامع الصحيح** ، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب " إنَّ اللّهُ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ " ، رقم الحديث (2973) ، ج 8 ، ص 86 . قال الألباني: " صحيح " . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين : **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، ط 1 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1405هـ ، رقم الحديث : (75) ، ص 63 .

المبحث الثالث

أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أسرته

وأما خلقه - صلى الله عليه وسلم - مع أهل بيته ، فإن الله تعالى هو الذي أدبه فأحسن تأديبه ، فهو أحسن الناس خلقاً ، وأمثلهم طريقةً ، وأصدقهم خيراً ، وأعدلهم حكماً ، وأطهرهم سريرةً ، وأنقاهم سيرةً ، وأفضلهم سجايا ، وأجودهم يداً ، وأسمحهم خاطرًا ، وأصفاهم صدراً ، وأنقاهم لربه ، وأوصلهم رحماً ، وأزكاهم منبئاً ، وأشجعهم قلباً ، وأثبتهم جناناً ، وأمضاهم حجةً ، وخبرهم نفساً ونسباً وخلقاً وديناً . ويكفيه شرفاً وقدرًا أن الله تعالى قال عنه : Ln ml k M القلم: 4. ويقول عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَنْفَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)) (1) ، فسبحان مَنْ اجتباها واصطفاه وتولاه وحماه ورعاه وكفاه ، ومن كل بلاء حسن أبلاه (2) .

وكان - صلى الله عليه وسلم - حسن المعاملة وخاصة مع أزواجه ، ممتثلًا أمر الله عز وجل : M وَعَاشِرُوهُنَّ لآلِ الْنِسَاءِ : ١٩ . فكان يقول : ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلُقُنَ مِنْ ضَلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)) (3) .

" كان صلى الله عليه وسلم يحمل هموم الأمة ، وهموم الدعوة ، وهموم الدين ، ومع ذلك لو نظرنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيته لتعجبنا أشد العجب " (4) .

وكان صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهل بيته خير قدوة لنا ، وكان عليه الصلاة والسلام خير الناس مع أهله ، ولا غرابة فهو القائل : ((خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)) (5) . والنماذج على ذلك من سيرته كثيرة ، أذكر فيما يلي طرفاً منها :

- 1- رواه البخاري . انظر: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأن المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى { وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } ، رقم الحديث 20 ، ج1 ، ص 13 .
- 2- انظر: القرني ، عائض بن عبد الله : محمد - صلى الله عليه وسلم - كأنك تراه ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 2002 م ، ص 24 .
- 3- رواه البخاري . انظر: صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاية بالنساء، رقم الحديث 5185 ، ج7 ، ص 26 .
- 4- حسان ، محمد : الحقوق الإسلامية ، ط1 ، المنصورة : دار فياض ، 2006 م ، ص 651 .
- 5- رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب صحيح . انظر : الجامع الصحيح ، كتاب المناقب ، باب في فضل أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، حديث رقم 3895 ، ج 10 ، ص 269 . قال الألباني : " صحيح " . انظر : الألباني : السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث : 285 ، ج1 ، ص 575 .

في طريقه لإحدى الغزوات ، يضرب القرعة بين زوجاته ، فعن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رَجُلِي فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ : هَذِهِ بِنْتُكَ السَّبَقَةَ)) (1) .

خلق وأدب وتربية ، بل كانت إذا غضبت عائشة - رضي الله عنها - من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تجد غيره لتحتمي به من أبي بكر رضي الله عنه .

" وكانت سيرته - صلى الله عليه وسلم - مع أزواجه ، حُسن المعاشرة ، وحُسن الخلق لأزواجه . وكان عائشة إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه (2) ، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه ، فوضع فمه في موضع فمها وشرب (3) ، وكان يتكئ في حجرها ، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها (4) ... ، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب ، ويربها الحبشة وهم يلعبون في مسجده ، وهي منكئة على منكبيه تنظر (5) " (6) .

1- رواه أبو داوود ، انظر : أبو داوود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني : سنن أبي داوود ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996م ، كتاب الجهاد ، باب السبق على الرجل ، رقم الحديث 2214 ، ج3 ، ص48 . قال الألباني : " وهذا سند صحيح على شرط الشيخين " . انظر : السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث : 131 ، ج1 ، ص254 .

2- عن جابر بن عبد الله قال : " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه " . رواه مسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران جواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه ، رقم الحديث : (1213) ، ج2 ، ص881 .

3- عن المقدم بن شريح عن أبيه قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولني الإناء فأشرب منه وأنا حائض ثم أعطيه فيتحرى موضع فيفيضه على فيه " . رواه النسائي . انظر : النسائي ، أحمد بن شعيب : سنن النسائي الكبرى ، 6 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1991م ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن ، كتاب الطهارة ، باب موكلة الحائض والشرب من سورها والانتفاع بفضله ، رقم الحديث : (274) ، ج1 ، ص125 . قال الألباني : " صحيح " . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح وضعيف سنن النسائي ، 12 جزءاً ، مصر : مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة ، ج1 ، ص425 .

4- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن " . رواه مسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل رأس زوجها وترجيله طهارة سورها والانتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ، رقم الحديث : (301) ، ج1 ، ص246 .

5- عن عروة بن الزبير أن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنني بردائه أنظر إلى لعبهم " . رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب أصحاب الحراب في المسجد ، رقم الحديث : (454) ، ج1 ، ص98 .

6- ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج1 ، ص146 .

وكان لبَنَاتِه - صلى الله عليه وسلم - حظٌّ وافرٌ من معاملته الطيبة . وقد كان صلى الله عليه وسلم يوجه المؤمنين إلى حسن المعاملة وخاصة مع الأهل ، فيقول : ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)) (1) .

فيمثل فيه هذا الحديث أعظم تمثيل ، فإذا هو رحيم ودود ، يدخل عليهم ضحاكاً بساماً ، يداعبهم بأرق العبارات ويلطفهم بأحسن التعامل ، يشاركهم الخدمة ويجاذبهم أحلى الحديث ويبادلهم أجمل السمر بلا فظاظاة ولا غلظة ولا لوم ولا تعنيف (2) .

وكانت معاملته - صلى الله عليه وسلم - مع بناته قائمة على العطف والرحمة والإحسان والإكرام والحمية والصبر والأناة ، لكونه - صلى الله عليه وسلم - هو الرَّاعِي والمربي والمعلم لأُمَّتِه ، فهو بحاجة إلى تلك الصفات التي تتأتى من تربية البنات ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أَنَّ أبُوَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبنات أربع ، لكونه الأسوة الصالحة لأُمَّتِه (3) .

ولكبير رعاية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لابنته فاطمة - رضي الله عنها - أنه قال: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ (4) مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي)) (5) .

بهذه المعاملة الحانية كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرعى أهله ليكون الأسوة الحسنة لأُمَّتِه ؛ فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ما دامت السماوات والأرض .

1- سبق تخريجه ص28 .

2- انظر: القرني : محمد - صلى الله عليه وسلم - كأنك تراه ، ص182 . حوى ، سعيد : المستخلص في تزكية الأنفس ، ط11 ، القاهرة : دار السلام ، 2005 م ، ص 364 . الغزالي ، محمد : خلق المسلم ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، 1998 ، ص17 .

3- انظر : العك ، خالد عبد الرحمن : شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة ، ط3 ، بيروت : دار المعرفة ، 2000 م ، ص 78 .

4- بَضْعَةٌ : قطعة لحم . [انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج7 ، ص132] .

5- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبه فاطمة ، رقم الحديث : (3714) ، ج5 ، ص 21 .

الفصل الثالث

الأسرة النبوية في مواجهة الشبهات

وفيه مبحثان :

تمهيد : الشبهات وأثرها على الأسرة

المبحث الأول : حادثة الإفك وأثرها على الأسرة النبوية

المطلب الأول : قصة الإفك وشدة البلاء

المطلب الثاني : أثر حادثة الإفك على البيت النبوي

المطلب الثالث : أثر حادثة الإفك على البيوت المؤمنة

المبحث الثاني : زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وإبطال التبني

المطلب الأول : تبني النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وإبطال التبني .

المطلب الثاني : الشبهات التي أثرت حول زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش رضي الله عنها .

تمهيد : الشبهات وأثرها على الأسرة

يقول سبحانه وتعالى : W M X Z Y [\] ^ _ ` a b
L r التوبة: ١٠٩ . q p o n m k j i h g f e d c

عندما تُبنى الأسرة على الأسس التي يضعها الإسلام تصبح متينة متماسكة ، يستحيل تفكيكها . وعندما تكون الأسرة متينة متماسكة إلى هذا الحد ، ينمو الأطفال بفضل الوجودان الديني بمحاسن الأخلاق وأفضلها ، وعندها يكون المجتمع عنيداً في وجه دعاة التحرر والسفور، لأنه لا يكون مجتمعاً مائعاً ، لذلك فإن أول شيء يعمد إليه أعداء الفضيلة هو القضاء على تماسك الأسرة حتى يسهل بعد ذلك استعباد أفرادها .

تقول الماسونية العالمية : " بغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم أن تنزعوا الأخلاق من أسسها ؛ لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة " (1).

وتقول الصهيونية العالمية : " إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا حينما نضع خططنا أن لا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاق ، ومن الناس من أضلتهم الخمرة وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر ، هذه الوسائل التي أغراهم بها وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا ونساؤنا في أماكن لهوهم، فشعارنا : تربية الحقد على الأسرة ، بغية تدميرها " (2) .

فكل النظريات الغربية من أهل دعاة التحرر والسفور تدعو إلى إحراق الأسرة وذر رمادها في البحر . فهم يريدونها معول هدم لا أداة بناء ، فيسعون جاهدين إلى تمزيقها وإشاعة الفرقة بين أفرادها ، وإخراج المرأة عن طهارتها وعفتها .

إنهم يعطون صورة مشوهة عن الحياة داخل الأسرة الإسلامية ، فوجدوا أن الأسرة وما فيها من تقاليد إسلامية عريقة ، وما بُنيت عليه من احتشام وحياء تحول دون الانحلال والاعتراب ، وتجعل حياة المسلم داخل أسرته أمراً غامضاً بالنسبة إليهم ، وحين عجزوا عن معرفة حقيقة واقع الأسرة الإسلامية لم يجدوا في نهاية الأمر إلا أن يكيدوا بها ، فأعلنوا

1- العويد ، محمد رشيد : من أجل تحرير حقيقي للمرأة ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 1993 م ، ص23 .
2- نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، ط4 ، بيروت : دار الاستقلال للدراسات والنشر ، 1996م ، ص 182 .

حربهم على القيم والمبادئ ، فهم يرون أن خضوع المرأة لزوجها يجعلها أسيرة رهينة بقرارته، فهي لا تستطيع أخذ القرار ، وليس لها كلمة أو رأي ، مما يظهر التباين الواضح بين الزوجين⁽¹⁾ .

كما إنهم يصفون المسلمين بأنهم أناس يتسابقون وراء غريزتهم كالبهائم التي لا تتحكم في شهواتها . وهذا ما أشار إليه ريمون شارل⁽²⁾ بقوله : " إن المرأة التي تنذر من غزارة زوجها الجنسية بإمكانها أن تستجد بالقاضي الذي سيتولى ضبط عدد المواقعات ، ويمكن للمرأة أن تطالب بالطلاق إن تجاوز زوجها ذلك الحد "⁽³⁾ .

ومن المعروف أن بعض بلاد المسلمين فيها أناس من أدناس الماسونية يدعون إلى سفور المرأة وتبرجها ، ويدعون إلى المسارح والمراقص والسينما والخمر والفاحشة ، ويدعون كذلك إلى اختلاط المرأة بالرجال الأجانب ومزاحمتهم في المكتب والمتجر والمصنع. هم يريدون أن تفقد المرأة عفتها وتتسلخ من تعاليم ربها سبحانه ، لتكون هادمة للأجيال لا مربية لها⁽⁴⁾ .

وقد أثار المستشرقون كثيراً من الشبهات حول المرأة المسلمة ، ليؤلبوها على الرجل، فإنهم يرمون التشريع الإسلامي بالظلم عندما أعطى الرجل أموراً لم تحظ بها المرأة ومنها : حق القوامة ، حق تأديب الزوجة ، الطلاق ، تعدد الزوجات ، شهادته أكمل و إرثه أكثر . فهم جهلوا مقصد الشرع ، لأنهم نظروا إليه نظرة قاصرة تتناسب وتحقيق رغباتهم في زعزعة الثقة في الأسر المسلمة ، وتأليب المرأة على الإسلام وآدابه وأحكامه بحجة أنه لم يُنصف المرأة ولم يرع إنسانيتها ولم يضمن لها كامل حقوقها ، فهم يُظهرون أنهم يتباكون على حالها، ولكنهم يسعون لخنقها⁽⁵⁾ .

1- انظر: مراد ، يحيى : **افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها** ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م ، ص514.

2- ريمون شارل : مفكر فرنسي ولد عام 1924 م ، يُعدّ قطباً من أقطاب المختصين في معرفة أسرار الشريعة الإسلامية، وطوايا الفقه ، وخبايا المجتمعات العربية . كتب بلا انقطاع مدة 30 سنة ، ونُصّب قاضياً بين الناس ، ومستشاراً للحكومة الفرنسية . له عدة كتب ومقالات ، منها : كتابه " الروح الإسلامية " ؛ الذي هاجم فيه النظام الإجتماعي في الإسلام . [انظر : المصدر السابق ، ص 507] .

3- انظر: المصدر السابق ، ص415 .

4- انظر : البليهي ، صالح بن إبراهيم : **يا فتاة الإسلام إقرئي حتى لا تخدعي** ، ط3 ، القاهرة : دار المسلم للنشر والتوزيع ، 1996م ، ص13 .

5- انظر : البوطي ، محمد سعيد رمضان : **المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني** ، ط1 ، دمشق: دار الفكر ، 1996م ، ص13 .

فهم لا يهتمون بسعادة المرأة ، بل إنهم يحكون المؤامرات الي تهدف إلى تدميرها عبر
تدمير أسرتها ، لتقوم على الظلم والاستبداد لا على السكن والمودة التي أرادها الله سبحانه لعباده
حين قال: [Z Y M \] ^ _ ` a b c d e f h i
L m I k j الروم: ٢١ .

وسأحاول في الصفحات القادمة إلقاء الضوء على الشبهات التي أثرت حول الأسرة
النبوية في محاولة للتشكيك في منبع هذا الدين وهو بيت النبوة .

المبحث الأول

حادثة الإفك وأثرها على الأسرة النبوية

المطلب الأول : قصة الإفك وشدة البلاء

أولاً : الصديقة وشدة بلاء الإفك

عقب غزوة بني المصطلق⁽¹⁾ المحصنة للإيمان وقعت أخطر حادثة ، أدخلت على كل مسلم ومسلمة من البلاء ما لم يدخل عليه مثله في محن الشدائد والأزمات التي ابتلي بها المسلمون .

إنها حادثة الإفك على السيدة عائشة رضي الله عنها . فقد سكت بعض المسلمين ، فلم يدر من شدة الدهشة والذهول ما يقول ، وأفصح بعضهم بعظمة العظائم، وقبيحة القبائح ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان إمام الصابرين ، عالج الأمر بحكمة هادئة ، فقد كان همه أن يقي المجتمع المسلم من عواصف الفتن، وهزات المحن ، وقواصم المكائد النفاقية حتى أنزل الله تعال براءة السيدة عائشة رضي الله عنها.

كان هذا الحدث الخطير ، والحادثة الأليمة لأمة المؤمنين وأبويها - رضي الله عنهم - ما أقض مضاجعهم ، ونشف الدمع في مآقيهم ، وخصوصاً عائشة رضي الله عنها ، حتى من الله عليها وعلى المؤمنين ، فكشف الغمة ، وفرج الكربة ، وأنزل وحيه بالقرآن المجيد على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم⁽²⁾ .

1- هذه الغزوة وقعت في شعبان من سنة ست للهجرة ، وتسمى أيضاً (غزوة المريسيع) ؛ لأن بني المصطلق كانوا بطناً من بني خزاعة ، يقيمون على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد ، إلى ساحل البحر الأحمر بين جدة ورايح . انظر : ابن هشام ، أبي محمد بن عبد الملك : السيرة النبوية لابن هشام ، 4 أجزاء ، بيروت : دار إحياء التراث ، ج3 ، ص 309 . الكازروني ، سعيد الدين محمد بن مسعود : المنتقى من سيرة النبي المصطفى ، 4 أجزاء ، ط1 ، فلسطين : دار الهدى للطباعة والنشر ، 2001م ، ج3 ، ص699 .

2- انظر : جمعة ، أحمد خليل : نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة ، دمشق : اليمامة للطباعة والنشر ، 1999م ، ص128 - 129 .

الصديقة وبداية الموقف :

تصور لنا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بداية الموقف الذي ألمّ بالبيت النبوي الطاهر المطهر ، فنذكر في حديثها الذي يرويه الإمام البخاري في الصحيح : " فَكَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيْبِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرُضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلُمُ ثُمَّ يَقُولُ : كَيْفَ تَيْكُمُ : لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ (1) " .

وتتابع أم المؤمنين عائشة راوية تفاصيل الحادثة فنقول : " أَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمَشِي فَعَنَرْتُ فِي مَرِطِهَا (2) . فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا : بِنْسَ مَا قُلْتَ ، أَتَسْبِيْنَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا ؟ فَقَالَتْ: يَا هُنْتَاهُ (3) ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَلَّمَ . فَقَالَ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَقُلْتُ: انْذَنْ لِي إِلَى أَبِي . قَالَتْ: وَأَنَا حِينِنْدِي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَبِيْنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا ، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُ أَبِي . فَقُلْتُ لَأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ . فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ هَوَيْتِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرٌ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا . فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا . قَالَتْ: فَبِتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ . قَالَتْ : فَتَشْهَدُ ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتُ بَرِيئَةً فَسَيُبرِّئُكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتُ أَلَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَقَالَتَهُ قَلَّصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً . وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لَأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا قَالَ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... (4) .

1- الناقه : الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته . [انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ10، ص595] .

2- مرطها : إزارها . [انظر : المصدر السابق ، جـ10 ، ص596] .

3- هنتاه : حرّف نداءً للبعيد وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد . [انظر : المصدر السابق ، جـ10 ، ص596] .

4- رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات .. " ، رقم الحديث : (4750) ، جـ6 ، ص101 .

شهادة البراءة وبداية الفرج :

حزّ الحزن في نفس الصديقة عائشة - رضي الله عنها - خطوطاً ، ولكنها بعد إذ رأت أن أباها عجزا عن الكلام أمام الحضرة النبوية ، ولم يتكلم أيّ واحد منهما بكلمة ، وهي الأثيرة عندهما ، هنالك فوّضت أمرها للعلم الخبير ، ولنستمع الآن إلى بقية الحديث الشائق ، ونحن نرقب الفرج القريب .

قالت عائشة - رضي الله عنها - تروي حديث البراءة : ((وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنْكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، وَصَدَقْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي ، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ :

[Z M] [^ _ ` a L يوسف : 18 . ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيًّا ، وَلَأَنَا أَحَقُّرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُنْكَرَ لِي بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي ⁽¹⁾ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئَنِي اللَّهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ

1- من التعليقات اللطيفة على كلام السيدة الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها - (ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى ، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا يبرئني الله تعالى بها) ما أورده ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في كتابه اللطيف " جلاء الأفهام " حيث أجاد وأصاب ، ونبه المغرورين كي لا ينزلقوا في مزالق الشيطان والغرور ، فقال : (وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستغفارها لنفسها ، فهذه صديقة الأمة ، وأم المؤمنين ، وحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي تعلم أنها بريئة مظلومة ، وأنّ قاذفيها ظالمون لها ، مفترون عليها ، قد بلغ أذاهم إلى أبيها وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا كان احتقارها لنفسها ، وتصغيرها لشأنها ، فما ظنك بمن صام يوماً أو يومين أو شهراً أو شهرين ، وقام ليلة أو ليلتين ، وظهر عليه شيء من الأحوال ، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات والمكاشفات والمخاطبات والمنازلات ، وإجابة الدعوات ، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم ، ويغتنم صالح دعائهم ، أنهم يجب على الناس احترامهم وتعظيمهم ، وتعزيرهم وتوقيرهم ، فيتمسح بأثوابهم ، ويقبل ثرى أعتابهم ، وأنهم من الله بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال ، وأن يؤخذ ممن أساء الأدب عليهم من غير إمهال ، وان الإساءة عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم ، ولو كان من وراء كفاية اهان ، ولكن من وراء تخلف ، وهذه الحماقات والرعونات نتائج الجهل الصميم ، والعقل غير المستقيم ، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه ، غافل عن جرمه وذنوبه ، مغتر بإمهال الله له عن أخذه بما هو في من الكبر والإزدراء على من لعله عند الله خير منه . نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة ، وينبغي للعبد أن يستعذ بالله أن يكون عند نفسه عظيماً ، وهو عند الله حقير) . [ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد : جلاء الأفهام ، القاهرة : دار الحديث ، 2004م ، ص 133 - 134] .

الْوَحْيُ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ (1) ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ (2) مِنَ السَّعْرَقِ فِي يَوْمِ شَاتٍ . فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهَ ، فَقَدْ بَرَأَكَ اللَّهُ . فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ: لَأُؤْمِرُ إِلَيْهِ وَلَأُحْمَدُ إِلَا اللَّهَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
! M " # \$ % & ' L الآيات (3) .

وهكذا أنزل الله عزّ وجل فرجه ، وانزاح الهمّ عن قلب الأسرة النبوية ، وكل بيوت المؤمنين الذين أهمهم هذا الأمر الذي ينضح بخبث المنافقين وفجورهم .

-
- 1- البرحاء : شِدَّةُ الْحُمَى ، وَقَبِيلَ شِدَّةِ الْكَرْبِ ، وَقَبِيلَ شِدَّةِ الْحَرِّ ، وَمِنْهُ بَرِحَ بِي الْهَمِّ إِذَا بَلَغَ مِنِّْي غَايَتَهُ . [انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ8 ، ص610] .
 - 2- الجمان : اللُّؤْلُؤُ . [انظر : المصدر السابق ، جـ8 ، ص611] .
 - 3- تكملة الحديث الذي سبق تخريجه ص 35.

ثانياً : معنى الإفك والحكمة من التعبير بهذا اللفظ

معنى الإفك :

الإفك : كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه (1) .

قال ابن منظور : " الإفك هو أسوأ الكذب . وأفك الناس : كذبهم وحدثهم بالباطل .
والإفك : الإثم . ورجل أفك : كذاب " (2) .

وقد سمي الله تعالى في كتابه الحكيم الافتراء على السيدة عائشة - رضي الله عنها -
إفكاً ، قال تعالى : (M ! " # \$ % & ') * + , - . / 0 L النور : ١١ ، وهو
أبلغ الكذب وأرذل الافتراء ، وألم الاختلاق ، كما سماه جل شأنه بهتاناً ، وهو يعاتب المؤمنين
في سكوتهم لحظة سماعهم بدافع إيمانهم بطهارة ساحة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن
تكون في عصمته من تحوم حولها أدنى الشبهات ، وبدافع إيمانهم بطهارة ذيل من اصطفاه الله
تعالى زوجاً لخير الخلق خاتم النبيين وسيد المرسلين ، فكانت بهذا الاصطفاء أمماً للمؤمنين وسيدة
نساء العالمين فضلاً وشرفاً وطهراً وعلماً وأدباً وخلقاً ، بقوله تعالى : M وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا
يَكُونُ لَنَا أَنْ مَهْدًا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ L النور : 16 ، والبهتان هو البلاء لا يشعر به الإنسان
حتى يفجأه بوقوعه (3) .

بلاغة الآية في التعبير :

وفي أسلوب هذه الآية الكريمة ضرب من البلاغة والمبالغة في تنفير المؤمنين عن
سكوتهم عند سماع ما يسيء ويشين سُمعة أي مؤمن ومؤمنة ، حيث جعل الله المؤمنين
والمؤمنات شيئاً واحداً بإيمانهم ، وجعلهم كلهم نفساً واحدة ، يتوحد بها النفع والضرر ، والخير
والشر والإحسان والإساءة .

ومن أحسن ما قيل في بيان بلاغة الآيات التي تحدثت عن الإفك ، قول الزمخشري :
"إن قلت : هلاً قيل : لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم؟ ولم عدل عن الخطاب إلى
الغيبية؟ وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت : ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات ، وليصرح بلفظ
الإيمان ، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على

1- الراغب : غريب مفردات القرآن ، ص 19 .

2- ابن منظور : لسان العرب ، ج-10، ص390 .

3- المصدر السابق ، ج-1 ، ص 38 .

أختها قول عائب ولا طاعن . وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قاله في أخيه ، أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك . وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير : { هذا إفكٌ مُبينٌ } هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته ، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال " (1) .

وقد توعد الله عزّ وجلّ الذين أشاعوا الإفك على السيدة الطاهرة عائشة - رضي الله عنها - بالعذاب العظيم في الآخرة ، بل جعلهم ملعونين في الدنيا والآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ستشهد عليهم بما اقترفوا وأشاعوا من كلام الوزر والزور على أظهر الطاهرات عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما . يقول سبحانه وتعالى : g fM
x w v u t s r q p o n m l k j i h
{ z y } | { ~ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ } © L النور 23 - 25 .

قال الزمخشري : " ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع ، المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفطاع ما أقدم عليه ، ما أنزل فيه على طرق مختلفة ، وأساليب مفتنة . كل واحد منها كاف في بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها ، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكروا وبهتوا ، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله ، حتى يعلموا عند ذلك { أن الله هو الحق المبين } فأوجز في ذلك وأشبع ، وفصل وأجمل ، وأكد وكرّر ، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر " (2) .

1- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : تفسير الكشاف ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ،

4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية، 1995 ، جـ3 ، ص 213 .

2- المصدر السابق، جـ3 ، ص 217 .

الحكمة من التعبير بكلمة (الإفك) :

وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكاً الذي هو أسوأ الكذب ، لكون المعروف من حال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلاف ذلك من وجوه (1) :

الأول : أن كونها زوج المعصوم - صلى الله عليه وسلم - يمنع من ذلك ؛ لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفر عنهم ، وكون زوجة الإنسان مسافحة من أعظم المنفرات .

فإن قيل كيف جاز أن تكون امرأة الرسول كافرة كامرأة لوط وامرأة نوح - عليهما الصلاة والسلام - (2) ولم يجز أن تكون فاجرة ؟ وأيضاً فلو لم يجز لكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما سأل عائشة - رضي الله عنها - عن تلك الواقعة ؟

فالجواب عن الأول : أن الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فإنه من المنفرات .

والجواب عن الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يكون يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك ، كما قال تعالى : M D C E F H G I الحجر: 97 فهذا من ذلك الباب .

الثاني : أن المعروف من عائشة - رضي الله عنها - قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ، ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن به .

الثالث : أن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم ، وكلام المفتري ضربٌ من الهذيان .

1- ابن عادل ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي : تفسير اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، عشرون جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998 م ، جـ 14 ، ص318 .

2- نجد ذلك في قوله تعالى : M _ ` a b c d e f g i j k l m n
p o q r s t u v w x y z L التحريم : 10 .

ثالثاً : دور المنافقين في الحادثة

كان زعيم المرجفين وكبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول هو من اختلق حادثة التقول بالكذب والباطل على أظهر الطاهرات الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ، حبيبة الحبيب سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، أم المؤمنين عائشة -رضوان الله عليها -وعلى أبايها . يقول سبحانه وتعالى : M : ؛ < = > ؟ @ L النور: 11 ، فقد كان الذي تولى كبر هذا الإفك والبهتان وأشاعه ، هو الخبيث الفاجر ، رأس النفاق ، وزعيم المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول (1) قبحه الله وأخزاه - وجاراه في ذلك من استزلهم الشيطان وسول لهم ، وأملى لهم ، فاستحوذ على مكامن الإيمان من أنفسهم فغطاها بظلام ضلالاته ، وكادت تكون فتنة قاصمة لظهر المجتمع المسلم لولا فضل الله ورحمته .

" أولئك هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض ممن لم تخلط بشاشة الإيمان قلوبهم ، وهم الذين كانوا يسمعون ولا ينكرون لضعف ثقتهم في أنفسهم ولضعف إيمانهم ، وهم الذين قال الله فيهم : M ¶ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ L التوبة: ٤٧ " (2) .

ويتلخص دور المنافقين في الحادثة بالآتي :

أولاً: هم الذين اصطنعوا الإفك وأشاعوه في المجتمع المؤمن النقي من الرذائل ، الطاهر من الفجور والكذب. وهم الذين قلبوا الأمور، وظنوا أن لا يكشف الله صنيعهم ، ويبطل مكرهم، ويخزيهم بنفاقهم. هم الذين أخبر عنهم القرآن، فقال سبحانه M ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ؟ @ L النور: 11 .

قال صاحب تفسير (اللباب في علوم الكتاب) : " إن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم ، وكلام المفتري ضرب من الهذيان " (3) .

- 1- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا M : ؛ < = > ؟ @ L قَالَتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ . رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى M : ؛ < = > ؟ @ L ، رقم الحديث : (4749) ، جـ 6 ، ص 101 . وهناك قول آخر : أن الذي تولى كبره هو حسان بن ثابت رضي الله عنه . انظر : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 24 جزءاً ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 2000م ، جـ 19 ، ص 117 .
- 2- عرجون ، محمد صادق : محمد رسول الله ، 4 أجزاء ، دمشق : دار القلم ، 1995م ، جـ 4 ، ص 223 .
- 3- ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، جـ 14 ، ص 318 .

وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن هؤلاء المنافقين بقيادة زعيمهم - رأس النفاق - عبد الله بن أبي بن سلول هم الذين آذوه كما جاء في حديث الإفك السابق .

ثانياً : هم الذين أحبوا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وهم الذين تعدوا كل القيم والسلوك وتجروا على رمي البيت النبوي الكريم بأبشع المنفريات ، ليزعزعا ثقة المجتمع المسلم بقيادته بعد أن فشلوا في محاربة هذه القيادة عسكرياً ، وهذا ديدنهم في كل زمان وجدا فيه . يقول سبحانه وهو يكشف للمؤمنين خبث المنافقين وبشاعة افتراءهم : **M إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** [النور: 19] .

وما أجمل كلام سيد قطب عندما يقول : " والذين يرمون المحصنات وبخاصة أولئك الذين تجرأوا على رمي بيت النبوة الكريم إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة؛ وعلى إزالة الترحج من ارتكاب الفاحشة ، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها . بذلك تشيع الفاحشة في النفوس ، لتشييع بعد ذلك في الواقع . من أجل هذا وصف الذين يرمون المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة . وذلك جانب من منهج التربية ، وإجراء من إجراءات الوقاية " (1) .

ثالثاً : هم الذين أدخلوا الهم على الأسرة النبوية ، وآلوا المؤمنين وبخاصة صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر - رضي الله عنه - بما أشاعوه من الكذب على الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها ، فقد عاش البيت النبوي آلامه وأحزانه شهراً كاملاً بسبب هؤلاء الذين تركوا الحق عن قصد ، وأعرضوا عن النور عن عمد ، فكان جزاؤهم زيادة الردى ومضاعفة العقوبة .

فهؤلاء يريدون أن يكون المجتمع المسلم مريضاً مثلهم تماماً ، لأن النفاق مرض أخطر من مرض الأجساد . مرض فتاك ينخر في القلب ، فيفسد على النفس سلامتها ، وصحتها وتصورها . مرض لا طيب له ، ولا دواء ، ولا حيلة فيه . مرض أعراضه الإعراض عن الله ، والتكذيب بكتابه ، والاستهزاء برسوله ، والخديعة لأوليائه ، والحرب لدينه (2) .

1- قطب : في ظلال القرآن ، ج 4 ، ص 2503

2- انظر: القرني ، عائض بن عبد الله : بهجة التفاسير ، ط 1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 2004 م ، ص 36- 37 .

المطلب الثاني : أثر حادثة الإفك على الأسرة النبوية

أولاً : الصديقة ووقفة تأمل مع الصبر :

لقد أذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغه عن عائشة رضي الله عنها ؛ وقد كانت وأباها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يعلم عن زوجه إلا خيراً ، ولكن ما بال الناس يتقولون عليها ؟

" لقد لبث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت وطأة بلاء هذه المحنة القاسية صابراً صبراً لم يُعرف في تاريخ النوازل والبلايا والخطوب لأحد من قبله ، ولا أحد من بعده ، حتى نزلت آيات براءة عائشة - رضي الله عنها - بعد سبعٍ وثلاثين ليلة من بداية المحنة ، فقد بلغه - صلى الله عليه وسلم - حديث الإفك عند وصوله إلى المدينة ، بعد ظفره ببني المصطلق ، تحدّث به أهل النفاق ومرضى القلوب ، ولاكته أسنتهم وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون ، يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم " (1) .

ولكن الوحي حسم كل ذلك بشهادة الطهر والبراءة لعائشة رضي الله عنها ، وأنزل الله عز وجل قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة في شأن قصة الإفك وشأن المتكلمين فيه بالباطل والكذب وتبرئة الصديقة عائشة - رضي الله عنها - والثناء عليها ، وذكر ما أعده الله لها من عظيم الثواب في الآخرة ، ونقاء السيرة في الدنيا ، وعلو درجتها في المجتمع المسلم ، أينما كانت أجياله وأوطانه .

قال الزمخشري : " ومعنى كونه خيراً لهم : أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة ، نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسليية له ، وتنزيهه لأُم المؤمنين رضوان الله عليها ، وتطهير لأهل البيت ، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه ، وعدة أطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة ، وفوائد دينية ، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها " (2) .

1- عرجون: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج4 ، ص228.

2- الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص215 .

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في براءة السيدة عائشة - رضي الله عنها - وكرامتها: "ومن خصائصها أن الله سبحانه برأها مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل في عذرها وبراعتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة ، وشهد لها بأنها من الطيبات ، وواعدها المغفرة والرزق الكريم ، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ، ولم يكن ذلك قيل فيها شراً لها ، ولا خافضاً من شأنها ، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها ، وأعظم شأنها ، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء ، فيالها من منقبة ما أجلها " (1) .

1- ابن القيم : جلاء الأفهام ، ص 133 .

ثانياً : طهر بيت النبوة

بيّن الله عز وجل طهارة بيت نبيه - صلى الله عليه وسلم - في كثير من الآيات التي تحدثت عن قصة الإفك على النحو الآتي :

1- النبي - صلى الله عليه وسلم - طيب لا يستحق إلا الطيب :

يقول سبحانه تعالى : M الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبْتَغِي الْوَعْدِ الْحَقِّ لِيُنْفِضَ إِلَيْهِمْ أَجْرَهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ النور: 26 .

إنّ أطيب وأزكى ما خلق الله عز وجل هو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو صاحب الشرف في الدنيا والآخرة ، وهو أرفع من أن يُرمى في عرضه أو تشوه صورته ، فهو طيب بقيمه ومبادئه ، يعلو على المادية الدنية ، ويسمو إلى أرفع الدرجات . أعطي النبوة لطيب فطرته ، ونزل الوحي عليه لطيب نفسه ، شهد الجميع ببراءته ونزاهته . وكيف يمكن أن تكون عائشة - رضي الله عنها - كما رموها وهي مقسومة لأطيب نفس على ظهر الأرض ، ولقد أحببتها نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حباً عظيماً فما كان يمكن أن يحببها الله تعالى لنبية المعصوم إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم (1) .

" فمن أطيب من رسول صلى الله عليه وسلم !!؟ وكما ذكرنا أن الله تعالى ما كان ليُدلس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجعل من أزواجه من تحوم حولها التشبهات، إذن فلا بد من أن تكون عائشة - رضي الله عنها - طيبة طيبة تكافئ وتناسب طيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك برأها الله تعالى مما يقول المفترون " (2) .

يقول ابن كثير : " ما كان الله تعالى ليجعل عائشة - رضي الله عنها - زوجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً ، ولهذا قال تعالى : M ﴿٢٦﴾ مِمَّا يَقُولُونَ لِيُؤْمِنُوا بِهِمْ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُولَىٰ أُولَئِكَ الْأُولَىٰ ﴿٢٦﴾
هم بُعْدَاءُ عَمَّا يَقُولُهُ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْعَدْوَانِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴿٢٦﴾ أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب

1- انظر : قطب : في ظلال القرآن ، جـ4 ، ص 2500 . الصابوني ، محمد بن علي : صفوة التفاسير ، 3 أجزاء ، 9 ط ، القاهرة : دار الصابوني ، جـ2 ، ص 334 .
2- الشعراوي ، محمد متولي : تفسير الشعراوي ، المطبوع منه 16 جزءاً ، ط1 ، القاهرة : الأزهر ، مجمع البحوث ، 1991 م ، جـ16 ، ص 10243 .

M وِرَزُّ كَرِيْمٌ L أي عند الله تعالى في جنات النعيم ، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجنة " (1) .

2- التحذير من الطعن في عرض الرسول صلى الله عليه وسلم :

حذرت الآيات من الخوض في عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويظهر ذلك من خلال عدة أمور :

أ- التحذير من تلقي الإفك بالألسن:

يقول سبحانه وتعالى : { z y x w v u t s r q p o M } | ~ L النور: 15.

قال ابن كثير : " قال مجاهد وسعيد بن جبير : L q p o M أي يرويه بعضكم عن بعض ، يقول هذا : سمعته من فلان ، وقال فلان : كذا ، وذكر بعضهم كذا ، r M ، أي L x w v u t s أي تقولون ما لا تعلمون . M . { z y } | ~ L أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً ، ولو لم تكن زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - لما كان هيئاً ، فكيف وهي زوج النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، فعظيم عند الله أن يقال في زوج رسوله ما قيل! الله يغار لهذا ، وهو سبحانه وتعالى لا يُقدَّر على زوج نبي من أنبيائه ذلك ، حاشا وكلاً ، ولما لم يكن ذلك ؛ فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء ، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! " (2) .

ب - الأمر بظن الخير:

قال تعالى M وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ ﴿١٦﴾ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ L النور: 16 .

وهذا تأديب آخر بعد التأديب الأول الأمر بظن الخير ، أي إذا نكر ما لا يليق من القول بشأن الأخيار فينبغي الظن بهم خيراً ، وأن لا يكون في نفسه غير ذلك ، فإن علق في نفسه شيء من الظن السيئ وسوسةً أو خيالاً ، فلا ينبغي أن يتكلم به .

1- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص40 .

2- ابن كثير : المصدر السابق ، ج4 ، ص37 .

قال الطباطبائي في الميزان : " وقوله تعالى M وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ ۖ ﴿٢٠﴾ هَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۗ عطف بعد عطف على قوله M وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ۗ إلخ، وفيه كرة ثلاثة على المؤمنين بالتوبيخ ، وقوله: M سُبْحَانَكَ ۗ اعتراض بالتنزيه لله سبحانه وهو من أدب القرآن أن ينزه الله بالتسبيح عند تنزيه كل منزه. والبهتان : الافتراء سمي به لأنه يبهت الإنسان المفترى عليه، وكونه بهتاناً عظيماً لأنه افتراء في عرض وخاصة إذا كان متعلقه بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وإنما كان بهتاناً لكونه إخباراً من غير علم ودعوى من غير بينة " (1) .

ج - التحذير من العودة لمثل ما وقع منهم :

قال تعالى : M يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ ۖ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ النور: 17- 18.

فقوله تعالى : M يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ ۖ أي ينهاكم الله تعالى متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً، أي فيما يستقبل إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفي قوله تعالى : M كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ تهييج لهم ليتعظوا ، وتذكير بما يوجب ترك العودة لمثل ما وقع منهم ، وهو اتصافهم بالإيمان الذي من شأنه الصد عن كل قبيح . M وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتُ ۗ أي يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدرية . M وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره (2) .

د - النهي عن إشاعة الإفك:

قال تعالى : M إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۗ النور: 19.

وهذا تأديب وتحذير لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ فقام بذهنه شيء منه ، وتكلم به فليقطع كلامه ولا يشيعه ويذيعه ، فقد قال تعالى : M إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ

1- الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ، 20 جزءاً ، ط2 ، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، 1973م ، ج-15 ، ص92 .

2- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج-4 ، ص37 . الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، 4 أجزاء ، القاهرة : المكتبة الإسلامية ، ج-3 ، ص213 .

ءَامَنُوا L أي يختارون ظهور الكلام القبيح عنهم ، ويشيعون في الذين آمنوا وفي طهارة بيت النبوة ، وفي شرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قصد وإرادة ومحبة لها M أَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ L أي بالحد الشرعي في الدنيا ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم ، M وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ L يعني أنه تعالى قد علم محبة مَنْ أحب الإشاعة وهو تعالى معاقبه عليها (1) .

وقال سبحانه : M وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، à اللَّهُ رَبِّمُحِيمٌ L النور: 20.

قال الزمخشري " وكرّر المنة بترك المعالجة بالعقاب ، حاذفاً جواب لولا كما حذفه ثمة . وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة ، وكذلك في التوآب والروؤوف والرحيم " (2) .

1- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج5 ، ص38 . الصابوني : صفوة التفاسير ، ج20 ، ص330 .

2 - الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص221 .

ثالثاً : الإفك معركة انتصر فيها النبي صلى الله عليه وسلم

إنّ حادثة الإفك ما هو إلا إرجاف من المنافقين ، ومرضى القلوب ، أفصحوا في إرجافهم عن الافتراء والبهتان والإفك ، وهم الذين كانوا يخططون له ويشعلون لهيبه ليحزنوا الذين آمنوا ، ويدخلوا عليهم من الفتنة والشك ما يشغلهم عن نشر دعوتهم ، وتبليغ رسالتهم ، وليسيتوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحب الناس إليه ، بلأم ما عُرف من لؤم الطبائع البشرية .

ومع هذا كله فقد كانت حادثة الإفك معركة موجهة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن فيها مواجهة عسكرية ، بل إنها أتت بعد فشل أعداء الدعوة في كسر شوكة المسلمين عسكرياً .

يقول سيد رحمه الله تعالى : " لقد كانت معركة خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك ، وخاضها الإسلام . معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار ، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره " (1) .

وقد تجلّى انتصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه المعركة فى عدة مظاهر منها:

أولاً : صبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النافذ ، فلم يُؤثر عنه أنه تلفظ بكلمة أساءت لأحد ، رغم شدة الإيذاء الذي تعرض له ، ولكنه واجه هذه المحنة بالحكمة وحسن التصرف ، فترك للمسلمين أن يحكموا على مَنْ رمى أطهر الطاهرات وهو يقول : ((يا معشر المسلمين ، مَنْ يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلي)) (2) . وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضبط نفسه ، وثقته بالمؤمنين المخلصين الذين عاش بينهم سنين ، يرببهم ويعلمهم ويزكّيهم ، ويغرس فيهم القيم ، ويحذرهم من سوء الظن .

1- قطب : في ظلال القرآن ، ج4 ، ص2501 .

2- جزء من حديث سيق تخريجه في ص 37 .

ثانياً : حُسن معاملته لأهل بيته ، وامتلاء قلبه يقيناً وثقةً بطهارة أزواجه وعفة أصحابه ، وهو يقول : ((أهلي والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معي)) (1) . وبهذا القول نجد التعليم العالي من محمد - صلى الله عليه وسلم - لمن يختبره الله تعالى بمثل تلك القلة الآثمة ، فهو لا يسارع إلى أهله يبادلهم بالاتهام أو الإيذاء ، أو غير ذلك مما يرتكبه الإنسان في غضبه أو ريبته، بل إنه يتلقى ذلك بالصبر الكظيم الهادئ الذي يميل إلى التبرئة ، ولا يميل إلى الاتهام (2) .

بل إنه صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر لم يخبر عائشة - رضي الله عنها - بقول أهل الإفك حتى تنبراً ، فتكون الزوبعة قد هدأت ، والسحابة العارضة قد تبددت ، وبعد أن علمت فقد طمأنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول لها : ((فإن كنت بريئة فسبيرئك الله تعالى)) (3) ، فتصبر - رضي الله عنها - حتى أتى الوحي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو عليه آيات البراءة : n ml k j i h g f m : L r q p o النور: 23 . فكان ذلك انتصاراً عظيماً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأهل بيته الأطهار ، فكشف الله تعالى زيف ادعاء أهل النفاق ، فلم يفلحوا في الوصول إلى تحقيق مآربهم في هزم المجتمع المسلم المتمثل في شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسياً ، بعد أن فشلوا في هزيمته عسكرياً (4) .

ثالثاً : استشارته لأصحابه وخواصه الثقات ، كعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهم ، فكلهم كذَّب الخبر ، وشدد في التكذيب ، مما طمأن قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأزاح عنه غشاء الشك ، فكان هذا انتصاراً مؤزرراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفلح المنافقون ومعهم اليهود في أن ينزعوا ثقة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقائدهم الحكيم ، بل زادهم ذلك حباً له وتمسكاً بمبدأ الحق الذي جاء به (5) .

1- جزء من حديث سبق تخريجه ص 35 .

2- انظر : أبو زهرة ، محمد : خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، جزءان ، ط2 ، قطر : دار إحياء التراث الإسلامي ، 1995 ، ج2 ، ص598 .

3- جزء من حديث سبق تخريجه ص 34 .

4- انظر : عرجون : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج4 ، ص232 .

5- انظر : أبو زهرة : خاتم النبيين ، ج2 ، ص986 .

المطلب الثالث : أثر حادثة الإفك على البيوت المؤمنة

أولاً : دور الأسرة المؤمنة في مواجهة الشبهات :

لقد حرم الإسلام سوء الظن بالله وبرسوله وبالمؤمنين المعروفين بصلاح الحال واستقامة الخلق ، ونظافة السيرة ، وإن وقع منهم تقصير في معروف أو تجاوز لمباح أو خدش لمروءة ، فلا بد من تدارك هذا التقصير ، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون أن يتغير قلب المسلم قيد شعرة ، ولو للحظة واحدة ، إذ يقول سبحانه : M ! " # % \$ & ' () * + , - . : ; < = > ? @ [\] ^ _ ` { | } ~ . (1) ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ)) .

وقد شرع الله عزّ وجلّ بما أنزله من آيات كريمة تبرئ السيدة عائشة - رضي الله عنها - قاعدة كلية من قواعد الحياة الاجتماعية في الإسلام ، وهي : " أنه ينبغي أن يكون الأساس للروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ظن الناس فيما بينهم خيراً ، ولا ينبغي أن يظن بعضهم ببعض سوءاً ، إلا فيما كان له أساس إيجابي قاطع . فالمبدأ الذي يقوم عليه المجتمع الإسلامي هو أن كل رجل بريء لا إثم عليه ما لم يكن ثمة أساس قوي معقول لكونه مجرمًا ، أو للشك في جريمته على الأقل ، وأن كل رجل صادق في ما يقول ما لم يكن ثمة ما يدل على كونه ساقط الاعتبار " (2) .

حفظ الله تعالى المؤمنين من التكلم في هذه المحنة :

سلك المؤمنون في حادثة الإفك الأليمة سلوكاً يدل على طهارة الجماعة المؤمنة من الدنس والسوء ، وما يحكمها من النظام والتماسك والعدالة الاجتماعية، ورحابة القلوب ، وبراءة الصدور .

وقد ضرب صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أروع الأمثلة في حبهم للبيت النبوي، فامتثلوا أمر الله عز وجل حيث نهاهم عن التكلم بالإفك : F E D C B M : L M L K J I H G النور: 12، فلم يخوضوا مع مَنْ خاضوا في الإفك ، بل

1- رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، رقم الحديث: (6064)، جـ8، ص 19 .

2- المودودي ، أبو الأعلى : تفسير سورة النور ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ص 120 .

إنهم أثنوا على الصديقة الطاهرة عائشة رضي الله عنها .

وظهرت طهارة قلوب المؤمنين عندما سألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن موقفهم من الإفك ، فكلهم كذب، وشدد في التكذيب ؛ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : "قَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ . قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ . قَالَتْ : فدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ : أَيُّ بَرِيرَةٍ (1) هَلْ رَأَيْتُ مِنْ شَيْءٍ يَرَبِّبُكَ ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ : لَا الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَعْمَصُهُ (2) عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنُّ تَنَامُ عَنْ عَجَبِينَ أَهْلِيهَا فَتَاتِي الدَّاجِنُ (3) فَتَأْكُلُهُ" (4) .

ومن الخير أن نقال كلمة الخير ؛ والخير هنا أن نشير إلى أن براءة أمنا عائشة - رضي الله عنها - واضحة ومفهومة بالبداهة لدى كل منصف ، يُفهم أن امرأة كعائشة رضي الله عنها ، لا تُعرض نفسها لهذه الريبة أمام الجيش ، وفي وضح النهار ، ولغير ضرورة ، مع رجل من المسلمين ، يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام ، من غضب الله تعالى، وغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغضب المسلمين ، فتلك حُلة تترفع عنها مَنْ هي أقل من عائشة - رضي الله عنها - منبتاً ومنزلةً ، وخلقاً وأنفةً ، فكيف بها وهي في مكانها المعلوم ؟ وقد لاحظنا موقف أم أيوب وزوجها ، وموقف عمار بن ياسر في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهم جميعاً (5) .

1- بريرة مولاة عائشة ، صحابية مشهورة ، عاشت إلى خلافة يزيد بن معاوية . [انظر : ابن حجر : تحرير تقريب التقریب ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م ، ج4 ، ص415] .

2- أَعْمَصُهُ : أعيبه . [انظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص601] .

3- الداجن : الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى . [المصدر السابق ، ج8 ، ص602] .

4- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب " لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات .. " رقم الحديث : (4750) ، ج6 ، ص101 - 105 .

5- انظر : جمعة : نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة ، ص141 .

حفظ الله تعالى أمهات المؤمنين عن التكلم في هذه المحنة

لم تكن عائشة - رضي الله عنها - وحدها في البيت الذي أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهره تطهيراً ، وإنما كانت هنالك شريكات لها في البيت النبوي من أمهات المؤمنين : أم سلمة ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهن (1) .

وكان من أجلّ النعم الإلهية على البيت النبوي وعلى المسلمين ، أن الله عز وجل قد حمى أمهات المؤمنين الطاهرات كلهن عن التكلم في محنة هذا البهتان الخبيث ، فلم يُؤثر عن واحدةٍ منهن في عائشة كلمة واحدة ، ولا إشارة خفية ، وهنّ ضرائرها ، وشريكاتها في القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من الطبيعي أن يكنّ اللاتي يُخشى عليهنّ من بواعث الغيرة أن تدفعهن أو بعضهن إلى التحدث فيما يحوم حول ذلك .

" لكنّ الله ذو الفضل العظيم ، قد حفظهنّ جميعاً حفظاً مباركاً لمقام حرم رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن تظل عروش بيوتهن في خلوتهن أو جلوتهن معه - صلى الله عليه وسلم - بما يعصمهن عن الانزلاق إلى مزالق الباطل ، والتقول على من يعرفن أنها أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم ، وأعزهنّ عنده ، وأعرفهنّ بمطارح أنظاره ، وأسرعهنّ إلى التعلق بأسباب رضاه في كل ما تقرُّ به عينه صلى الله عليه وسلم " (2) .

هذا وقد خص الله - عزّ وجل - أمّ المؤمنين السيّدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - بموقف نبيل كريم من عائشة - رضي الله عنها - في قصة الإفك ، ذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - خصها بالسؤال عن عائشة قبل أن ينزل الوحي ببراءتها وطهارتها من رجس الإفك ، واقتراء البهتان ، فقال لها : ((يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت ؟)) . فقالت : " يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمتُ إلا خيراً " . قالت عائشة - رضي الله عنها - تثني على زينب رضي الله عنها ، وتعرف لها فضلها في دينها وأدبها وجودها ومعروفها : " وهي التي تساميني (3) من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -

1- انظر : عرجون : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جـ4 ، ص283 .

2- جمعة : نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة ، ص143 .

3- تساميني : تُعَادِلُنِي وتُضَاهِيُنِي فِي الْحَطْوَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ . انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ8 ، ص613 .

فعصمها الله بالورع" (1) .

إنه من الصَّعْب أن تتزَّرع ثناء امرأة على ضررتها في مثل هذا الموقف ، ولكن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - كنَّ من نوع آخر ، فكانت الواحدة منهنَّ تنثي على ضررتها بما هي أهله .

فقد ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أنها أثنت على ضررتها زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فقالت : " كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت امرأة خيراً في الدِّين من زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم للصدقة ، رضي الله عنها " (2) .

1- قطعة من حديث رواه البخاري ، سبق تخريجه ص 37 .

2- رواه أحمد . انظر : ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني : مسند أحمد ، 6 أجزاء ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1999م ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، رقم الحديث : 25174 ، جـ 6 ، ص151 . قال شعيب الأرنؤوط : " حديث صحيح " . انظر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر : مسند الإمام أحمد - الموسوعة الحديثية ، المشرف العام : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، شارك فيها : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، وعادل مرشد ، وابراهيم الربيع ، ومحمد رضوان عرقسوسي ، وكامل الخراط ، 50 جزءاً ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، 1996م ، جـ 42 ، ص94 .

ثانياً : الخيرية في حادثة الإفك

أخبر سبحانه وتعالى أن حادثة الإفك الأليمة كانت خيراً للمؤمنين . قال سبحانه : M !
(' & % \$ # ") * + , - . / O L النور: 11 ، فأين الخير في مثل هذه
المحنة والفتنة والابتلاء العاصف !؟

لقد ظهر خير هذه الفتنة في أمور عدة ، منها :

1- كشف مكائد المنافقين ، فإنهم وإن جاؤوا على زعمهم بحملة شعواء على نظام الجماعة
وشخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته ، ولكنها ما حاقت إلا بهم وما سببت
للمسلمين إلا خيراً .

فالمناقفون ما كانوا قد أثاروا هذه الفتنة وأشعلوا جذوتها إلا لأن يهزموا المسلمين في
ميدان تفوقهم، ميدان الأخلاق الذي كانوا لسبقهم فيه يهزمون أعداءهم في سائر ميادين الحياة ،
ولكن الله تعالى ما أخرج للمسلمين من هذه الفتنة إلا خيراً . فقد ثبت من سيرة الرسول - صلى
الله عليه وسلم - وسلوك أهله في جانب ، وسلوك أبي بكر - رضي الله عنه - وأهله في
الجانب الآخر ، وسلوك عامة المسلمين في الجانب الثالث ، في هذا الموقف الأليم مبلغ طهارة
الجماعة من الدنس والسوء وما يحكمها من النظام والتماسك والعدالة الاجتماعية وبراءة
الصدور . فإن إشارة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت أكثر من الكافي في ضرب
المسلمين أعناق من رموه في عرضه ورسالته ، فما هم الناس يتحدثون بالإفك شهراً كاملاً في
المدينة ، ولكنه يصبر عليه ويعاني شدائده . وها هو مسطح بن أثاثه ، الذي ينفق عليه أبو بكر
الصديق رضي الله عنه ، وهو من أقربائه ، يفجعه في فلذة كبده ، ولكنه لا يقطع عنه صلة
القرباية ولا يمسك يده عن مساعدته . وها هن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تسهم
إحداهن في تشويه سمعة ضررتها ولا تقول فيها إلا خيراً . فهذه هي الدرجة السامية من طهارة
الخلق والإخلاص ، التي كان عليها الذين لهم صلة مباشرة بحادثة الإفك (1).

وقد وقف المسلمون وقفةً حازمةً صارمةً في وجوه من أشاعوا هذا الخبر
الكاذب ، وهوتوا على رسول - صلى الله عليه وسلم - الأمر ، بقولهم الحسن في عائشة
رضي الله عنها . فهؤلاء ملأ الإيمان قلوبهم فزادهم علماً بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

1- انظر: المودودي : تفسير سورة النور ، ص124 .

ومعرفة بحرماته ، وتقديراً لمنزلته عند ربه سبحانه الذي أرسله هدى ورحمة للعالمين . وهكذا ما ظهرت النتيجة إلا على العكس مما قصده المنافقون من الإرجاف بالسوء وإشاعة الأكاذيب والبهتان في مجتمع مؤمن ، ما زاده إلا تفوقاً في أخلاقهم .

2- حادثة الإفك سبب زيادة عظيمة في قوانين الإسلام وأحكامه وقواعده للحياة الاجتماعية، وقد تلقى المسلمون من الله تعالى تعاليم ؛ إذا عملوا بها سلم مجتمعهم من نشوء المنكرات والفواحش، ومن تداركها إذا نشأت .

يقول سعيد حوى : " وهو خير لما فيه من الدروس والعبر الكثيرة ؛ إذ حمى الله تعالى بسبب العبرة من هذه القصة ملايين الأعراض " (1) .

وحسب القاعد المعروفة " العبرة في عموم اللفظ لا بخصوص السبب " (2) فهذه الآيات تلقي في النفوس المهابة والخوف عند الكلام عن أعراض الناس ، فحين تتهم عائشة وتنزل براءتها من فوق سبع سماوات في قرآن يُتلى ويتعبد به إلى يوم القيامة ، وحين يُفصح قوم على لسان القرآن ، لا بد أن يعتبر الآخرون ويخافوا إن فعلوا مثله أن يُفصح أمرهم ، لذلك جاء هذا الموقف درساً عملياً لمجتمع الإيمان .

3- أصبحت هذه الحادثة خيراً لأنها نوع من التأييد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولدعوته . قال محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى : " فالحق تبارك وتعالى يؤيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأشياء المرّة ليقطع أمل أعدائه في الانتصار عليه ولو بالتدليس وبالمكر ولو بالإسرار والكيد الخفي ، ففي ذروة عداة قريش لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إيمان الناس يزداد يوماً بعد يوم ، وكان الحق سبحانه وتعالى يقول لأعدائه : اقطعوا الأمل فلن تتالوا من محمد - صلى الله عليه وسلم - أبداً . ومن هنا كانت حادثة الإفك خيراً للجماعة المؤمنة " (3) .

4- ومن نواحي الخير في هذه الحادثة ، أن الله - عز وجل - أراد أن يُعلم الأمة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم الغيب ، وأنه لا يعلم إلا ما يخبره به الله سبحانه وتعالى . فقد ظل شهراً كاملاً يعاني الألم وفجيعة القلب في أمر عائشة رضي الله عنها ، فيسأل فيها خادم

1- حوى ، سعيد : الأساس في التفسير ، 10 أجزاء ، ط1 ، القاهرة : دار السلام ، 1985 ، ج7 ، ص 3713 .

2- انظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : المستصفى من علم الأصول ، دراسة وتحقيق : محمد بن سليمان الأشقر ، جزءان ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1417هـ ، 1997م ، ج2 ، ص 131 .

3- الشعراوي: تفسير الشعراوي ، ج16 ، ص 10214 .

بيته تارةً وعلياً أخرى وأسامة بن زيد ثالثةً وأزواجه رابعةً ، وأخيراً يذهب إلى عائشة نفسها ولا يقول لها إلا : ((إن كنت بريئة فسببرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه)) (1) .

فلو أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم الغيب ، فلماذا يعاني هذا الألم والقلق والأرق الشديد المديد ؟ ولماذا يسأل في عائشة - رضي الله عنها - ويلقنها التوبة ؟ ولكن لما نزل الوحي وأحاطه بحقيقة الواقع ، علم ما لم يعلم هو ولا غيره من البشر طوال شهر كامل .

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى : " فهكذا أراد الله تعالى أن ينقذ المسلمين بالتجربة والمشاهدة المباشرة من الغلو في شخص مقتداهم ومرشدهم صلى الله عليه وسلم . وليس من البعيد أن يكون هذا من المصالح التي لأجلها حبس الله - سبحانه وتعالى - وحيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى شهر كامل . ولو أنه أنزل وحيه يوم وقع هذا الحادث، لما رجع المسلمون بهذه الفائدة العظيمة " (2) .

5- بيان شر المنافقين وخطرهم على الجماعة المؤمنة ، وذلك لأن المسلم يعلم عدوه الكافر ، ويعدّ العدة للقائه ، لكن المنافق يندس مع المسلمين ، يتكلم بكلامهم ولبسانهم ، وإن خرج مع الكافرين فهو منهم ومعهم M \] ^ _ ` c b a hg f i k j l n o p q r s t u v w x y z . النساء: ١٤٣ . والمؤمنون لا يعلمون شرهم ولا خطرهم ، إلا بمثل هذه المحن والفتن .

" لقد ظهر المنافقون ظهوراً جلياً للموحدين بعد هذه الفتنة الحالكة ، فمثل هذه المحن تخرج المخبوء ، مثل هذه الفتن تكشف عن السرائر ، وتبين الجوهر الحقيقي ؛ لأن الإنسان في حال الرخاء قد لا يعرف دروب نفسه وقد لا يعرف مجاهلها ، وقد لا يعرف عيوبها ، وقد لا يعرف خطرها ، فإذا ما تعرض للمحنة انكشف له كل شيء " (3) .

لقد كشفت هذه الحادثة الأليمة أنّ المؤمن الصادق هو الذي يثبت في المحن والفتن والابتلاء ، أمّا المنافق الذي يعبد الله على حرف فإذا ما اعترضته فتنة أو ابتلاء ترك الطريق وانحرف على وجهه فأصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ليكون شغله الشاغل البحث عن العشرات، واتباع الزلات لتسويه السمعة الطيبة الطاهرة للمؤمنين ، قدوته في ذلك ابن سلول زعيم النفاق

1- جزء من حديث سبق تخريجه ص 34.

2- المودودي: تفسير سورة النور ، ص126.

3- حسان ، محمد : لا تحسبوه شراً لكم ، مصر ، المنصورة : دار فياض ، 2005 م ، ص 23 .

والمنافقين . يقول سبحانه وتعالى : M f h g i j k l m n o p q r s t u
{ z y x w v } ~ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمَيِينُ L الحج: ١١ .

" ولولا إظهار المنافقين الإفك كان يجوز أن يبقى الهمُّ كامناً في صدور البعض ، وعند الإظهار انكشف كذب القوم " (1).

6- ارتفعت مكانة عائشة - رضي الله عنها - بعد هذه المحنة عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد نزل في حقها قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة ، فأى كرامة هذه؟! وقد ظلَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذه المحنة يعرف قدر عائشة - رضي الله عنها - ومكانتها وقد برأها الله سبحانه من فوق سبع سماوات .

أستنتج مما سبق أنه لا يجوز أن تثبط تليفقات أعداء الدعوة همم المؤمنين الصادقين ، ولا تضعف عزائمهم وأن لا يحدقوا وينظروا فقط إلى ما في هذه التليفقات من أذى لهم وضرر عليهم ، بل عليهم أن يبصروا من خلالها جانب الخير والمصلحة المتمثلة بالأجر العميم ، وبنصرة الله تعالى لهم ، وبتوعد أعداء الدعوة . وليتذكر المؤمنون قول الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين الذين تأذوا بحديث الإفك : M ! " # \$ % & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L
النور: 11 .

1- ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب ، ج14 ، ص320 .

ثالثاً : التربية الخلقية للمؤمنين في آيات الإفك

وقد كانت هذه التربية على نوعين هما :

1- التخلي عن الأخلاق الذميمة ، ومن أهمها :

أ - الزنا :

في التعقيب على حادثة الإفك وصف الله - سبحانه وتعالى - الزنا بالخبيث ، فقال : M
أَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ L النور : 26 . قال ابن عاشور : " والمراد بالخبيث : خبيث
الصفات الإنسانية كالفواحش " (1) فهو من صفات الخبيثات والخبيثين ، فالنفوس المؤمنة لا
تمتزع ولا تلتئم مع النفوس الخبيثة ولا ترضى الخبيث .

قال البروسوسي : " M أَلْخَبِيثَاتُ L من النساء أي الزواني ... M لِلْخَبِيثِينَ L من الرجال
أي الزناة ، كابن أبي المنافق تكون له امرأة زانية أي مختصات بهم ، لا يكذب يتجاوزنهم ؛ لأن
الله ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل ويجمع الأشكال بعضاً إلى بعض على أن اللام للاختصاص (2) .

والآية إن جاءت للاستدلال على براءة السيدة عائشة - رضي الله عنها - إلا أنها تفيد
أن الذي ينزع إلى الخبيث هم الخبيثون والخبيثات وليس أهل الطيب من أصحاب الفضائل (3) .

وقد جاء في الحديث الشريف : ((ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة :
العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المتشبه بالرجال ، والديوث (4))) (5) .

ب - القذف :

نهت الآيات على أهمية الكلمة وعظيم أثرها ، وأنها ليست مجرد صوت ينطلق من فم ،
وإنما هي رسالة من الرسائل إلى عقول الناس . قد تكون طيبة فتحمل عليهم الخير والهدى ،

1- ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج 18 ، ص 195 .

2- البروسوي ، إسماعيل حقي : تفسير روح البيان ، 9 أجزاء ، القاهرة : دار سعادات ، ج 6 ، ص 136 .

3- انظر : أبو حيان ، محد بن يوسف الأندلسي الغرناطي : البحر المحيط ، 9 أجزاء ، بيروت : دار الفكر ، 1983 ،
ج 6 ، ص 440 .

4- الديوث : الذي يُقَرَّ الخُبْثُ في أهله . [انظر : التركي : الموسوعة الحديثية شرح مسند أحمد ، ج 10 ، ص 289] .

5- رواه أحمد ، انظر : المسند ، رقم الحديث : (6180) ، ج 2 ، ص 134 . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة
وقال عنه " حسن " . انظر : الألباني : السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث : (674) ، ج 2 ، ص 173 .

وقد تكون خبيثة فتسوق إليهم البلاء والهلاك . وإنَّ الكلمة وإنْ كانت في حساب النفوس المريضة شيئاً لا وزن له ولا ثمن للقليل أو الكثير منه ، فإنها عند أهل الرأي والإيمان شيء عظيم . قال تعالى : **M إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** L النور: ١٩ . قال الزمخشري : " يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة ، وإرادة ومحبة لها ، وعذاب الدنيا الحدّ ، **M وَاللَّهُ يَعْلَمُ** L ما في القلوب من الأسرار والضمائر **M وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** L يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة ، وهو معاقبه عليها " (1) .

ج- إشاعة الفاحشة في المؤمنين :

لا بد أن يبعد المؤمن عن نفسه أي ميل أو محبة أو رغبة في إشاعة الفاحشة ، ونهش الأعراس ، واتهام الغافلين المؤمنين . فقول الله عز وجل : **M إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** L النور: ١٩ ، ثم ووعيد لمن يحب ويريد إذاعة الفاحشة ونشرها بين المؤمنين .

قال ابن تيمية : " ويكون ذلك باللسان والجوارح فهو ذم لمن يتكلم بها محبة لها أو محبة لوقوعها في المؤمنين " (2) .

" فالمراد بشيوع الفاحشة شيوع خبرها ؛ أي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها " (3) . وإشاعة الفاحشة أشبه بالنار تكون أول الأمر شرارة ، فإذا هي لم تعالج في الحال اندلعت ألسنتها وعلا لهيبها ، وصارت حريقاً عظيماً لا يدفعه شيء .

د - تناقل الكلام بلا تثبت ودليل :

يقول سبحانه وتعالى : **M o p q r s t u v w x y z** | { } ~ L النور: ١٥ ، " وهذا عتاب للمسلمين على تكلمهم بما لا علم لهم به ولا دليل عليه ، وتأديب حتى لا يقول المرء إلا ما يعلمه ويتحققه " (4) .

1- الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص217 .

2- ابن تيمية ، أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم دمشقي : تفسير سورة النور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط2 ، 1996 م ، ص92 .

3- أبو السعود ، محمد بن محمد الحنفي العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، 10 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار صادر للتراث ، 1999 م ، ج6 ، ص163 .

4- الزحيلي ، وهبة : التفسير المنير ، 30 جزءاً ، دمشق : دار الفكر ، 1991 م ، ج18 ، ص180 .

هـ - العدول عن الحلف على ترك فعل الخير :

ويؤخذ هذا من قول الله تعالى : R Q P O N M L K J I H M :
L d c b â _ ^] \ [Y X W U T S
الطبري في سبب النزول : " وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مسطح⁽¹⁾ ، فقال جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألا يُعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم، كمسطح، وهو ابن خالة أبي بكر LR M يقول: وذوي خلة الحاجة ، وكان مسطح منهم ؛ لأنه كان فقيراً محتاجاً LIMU TS M وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا LIX M يقول: وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك، LY M يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك ، بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم M] \ [M يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها L c b M لذنوب من أطاعه واتبع أمره ، L d M بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها " (2) .

وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالآية جاءت بصيغة العموم لتشمل عموم المسلمين . والآية دليل على عدم القعود والتقصير عن فعل الخير والإحسان إلى الآخرين . ودليل على " أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة ، وإنما تجوز إذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه " (3) .

1- تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " فلما أنزل الله هذا في برآءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة- لقرابته منه : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة . فأنزل الله تعالى : { ولَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ } . رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات .. " ، رقم الحديث : (4750) ، جـ 6 ، ص 101 .

2- الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، جـ 19 ، ص 36 .

3- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين : التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " ، 32 جزءاً ، ط 2 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1997 ، جـ 23 ، ص 191 .

2- التحلي بالأخلاق الفاضلة ، ومن أهمها :

أ- حسن الظنّ بالمؤمنين ومحبتهم ودفع التهم عنهم:

L M L K J I H G F E D C B M: يقول سبحانه وتعالى:

النور: 12 ، وهذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يحسنوا الظن فيما بينهم ، ويدفعوا عن بعضهم أعراض بعض ، وأن لا يتمادوا بسماع السوء أو يصروا على تناقله (1) .

ويلحظ في الآية السابقة العدول عن الخطاب إلى الغيبة وعن المضمّر إلى الظاهر ، فلم

يقل : (لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم) وذلك مبالغة في التوبيخ بطريقة

الالتيقات . قال الجزائري : " وقوله تعالى : J I H G F E D C B M :

L M L K هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل :

L B M أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً

إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة ، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل

ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم ما فعلتم " (2) .

ويتعلم المسلم حسن الظن من مواقف سجلت لبعض الصحابة - رضي الله عنهم - في

هذه الحادثة ، كموقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته ، وموقف أسامة وعليّ وبريرة وزينب بنت

جحش رضي الله عنهم جميعاً .

ب - الصبر وضبط النفس:

وهذا درس يتعلمه ويتربى عليه المسلمون من خلال معالجة الرسول - صلى الله عليه

وسلم - لفتنة حديث الإفك دون أن يبىء أو يتهم ، ومن موقف أبي بكر وزوجته أمّ رومان -

رضي الله عنهما - ولا يزيد أحدهما عن القول لعائشة رضي الله عنها : " والله ما أدري ما

أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وبصبره - صلى الله عليه وسلم - النافذ أتى الفرج ، وخرج منتصراً على الرغم من آلامه

وأحزانه . يقول سيد رحمه الله تعالى : " لقد كانت معركة خاضها رسول الله صلى الله عليه

وسلم وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك . وخاضها الإسلام . معركة ضخمة لعلها أضخم

1- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص37 .

2- الجزائري ، أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، 5 أجزاء ، ط2 ، المدينة المنورة : أضواء المنار ،

1419 هـ ، ج3 ، ص 555 .

المعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره ، فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاذ صبره وضعف احتماله . والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته" (1) .

وعائشة - رضي الله عنها - الطاهرة المطهرة متهمة بأعظم ما يمكن أن تتهم به امرأة عفيفة، ولا تجد ما تدافع عن نفسها إلا الصبر والدعاء وقولها : " وَلَئِن قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَّا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِن اعْتَرَفْتُمْ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَنُصَدِّقَنِي وَاللَّهِ مَا أَجْدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ [Z M] [\] [^ _ `] La يوسف: 18 " (2) .

ج - التثبت وتحري الحق وعدم الحكم بالظن:

وهو درس عظيم ، نتعلمه من موقف أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - وهي تقول : " أحمي سمعي وبصري " . فلا بد للحكم من دليل حتى لو كان الخصم ضرة لها. وهو الدرس المستفاد من قول عليّ - رضي الله عنه - " وإن تسأل الجارية تصدقك " إشارة منه أن يثبت من خادمها بريرة .

وهو درس علمه الله تعالى للمؤمنين بعد حادثة الإفك . يقول سبحانه وتعالى : OM :
 P Q R S T U V W X Y Z [\] L النور: 13 ، فالقرآن الكريم
 يوجه المؤمنين إلى المنهج القويم في مواجهة الشائعات ويطلب منهم خطوتين (3) :
 الأولى : عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير ، وهي طلب الدليل الباطني الوجداني .
 يقول سبحانه وتعالى : L M L K J I H G F E D C B M :
 النور: 12 .

الثانية : التثبت بالبينة والدليل ، وهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواضح . يقول سبحانه وتعالى : OM : P Q R S T U V W X Y Z [\] L النور: 13 .

د - الاستجابة للحق والرجوع للفضيلة:

المؤمنون مستجيبون للحق ، لهم كان أو عليهم ، بلا تردد ولا جدال ولا انحراف . وقد أمر الله سبحانه بالانضباط بشرعه الحنيف ، واتباع الحق في الرضى والغضب . فقال سبحانه :

1- قطب : في ظلال القرآن ، ج4 ، ص2501 .

2- جزء من حديث سبق تخريجه ص 34 .

3- انظر : قطب : في ظلال القرآن ، ج4 ، ص2502 .

[Y X MU TS R Q P O N M L K J I H M

\ [^ _ ì b c d L النور: ٢٢ . وقد بيّنتُ أنها نزلت في أبي بكر - رضي الله عنه - عندما حلف أن لا ينفق على ابن خالته مسطح بعد أن تحدّث بالإفك ، وكان مسكيناً لا مال له ، وكان من المهاجرين في سبيل الله تعالى ، وقد زلق زلقةً تاب الله تعالى عليه وضُرب الحد عليها ، وكان الصديق - رضي الله عنه - معروفاً بالمعروف على الأقارب والأجانب ، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله تعالى : [M : \ [^ _ ì b c d L والتي تبين أنّ الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر ذنب مَنْ أذنب إليك يغفر الله لك ما أذنبت في حقه تعالى ، وكما تصفح عن أساء إليك يصفح الله عنك ، فعند ذلك قال أبو بكر الصديق : " بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا " . ثم أرجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة ، وقال : " والله لا أنزعها منه أبداً " (1) في مقابلة ما كان قال: " والله لا أنفعه أبداً " (2) .

فالمؤمن يسير مع الحق حيث سار ، ولا يُعرف منه مخالفة للحق مهما كانت قوة الضغوط عليه ، ومهما تعرض للمحن ، فهو يحسن للناس وإن أسأؤوا له ، أو كانت بينه وبينهم شحناء لجناية اقترفوها ، فإله يأمر بالعدل والإحسان .

هـ - إشاعة العفو والصفح بين المؤمنين:

على المؤمنين إشاعة حب العفو والصفح فيما بينهم ، فيصفح بعضهم عن بعض إذا صدرت منه الإساءة أو التقصير ، فإن الشان بالأخ الصفح والعفو عن أخيه ، فالجزاء من جنس العمل ، فإذا عفا المؤمن عن أخيه ، جازاه الله تعالى بالعفو عن زلاته وذنوبه ، وليتذكر قول الله تعالى : [Y X M : \ [^ _ ì b c d L النور: 22 ، وليكن قدوته أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - في عفوهِ عن تكلم في عرضه (3) .

1- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، رقم الحديث : (4141) ، ج 5 ، ص 116 .

2- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج 4 ، ص 38 - 39 .

3- انظر : زيدان ، عبد الكريم : الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، جزءان ، ط 1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1999م ، ج 2 ، ص 320 . الصابوني ، محمد علي : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، جزءان ، ط 1 ، دمشق : مكتبة الغزالي ، 1971م ، ج 2 ، ص 102 - 103 .

المبحث الثاني

زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وإبطال التبني

المطلب الأول : تبني النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وإبطال التبني

التبني : هو اتخاذ ابن أو ابنة الآخرين بمثابة الابن الحقيقي من النسب الصحيح والأصيل . وكان التبني من العادات الشائعة في المجتمع الجاهلي لأسباب عدة منها (1) :

- 1- التجاوب مع النزعة الفطرية في حب الأولاد في حال العقم أو اليأس من الإنجاب .
- 2- استحسان ابن الآخر ، فيجعل الولد مُتَّبَنَى مع العلم أنه ولد الأب الآخر الحقيقي ، وليس ولداً للمُتَّبَنَى في الحقيقة .
- 3- رعاية ولدٍ لقيط أو مفقود أو مجهول النسب ، أو لا عائل ولا مربي له ، فيكون تبنيه حفاظاً عليه من الضياع أو الموت أو الهلاك .
- 4- حب الرفعة والانضمام لنسب مرموق في المجتمع ، أو ذي عزة وجاه بين فئات المجتمع ، وقد يكون أب المُتَّبَنَى الحقيقي في حالة من الفقر المدقع ، أو انعدام عاطفة الرحمة الأبوية ، فيتخلى عن الولد بالبيع أو الهبة أو الترك أو الإهمال ، فيتلقفه الآخرون ، ويُضم إلى أسرة غريبة عنه في الدم والأصل .

وبقي التبني ظاهرة موجودة في بداية الإسلام ، حيث لم تتقرر أحكام التشريع الإلهية دفعةً واحدة ، وإنما على منهج التدرج والتربية شيئاً فشيئاً . وتمشياً مع هذه الظاهرة تبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته شاباً من سبايا بلاد الشام ، سباه رجل من تهامة ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم وهبه لعمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وهبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأعتقه وتبناه ، وهو زيد بن حارثة الكلبى ، الذي كان يقال عنه زيد بن محمد (2) ، وهو أول من آمن به من الموالي . ولما علم أبوه موضعه ،

1- انظر : الزحيلي ، وهبة : ندوة بعنوان : حكم التبني وأبعاده الإنسانية والاجتماعية ، باريس : مسجد الدعوة ، يوم السبت 28 - 4 - 2001 . موقع : د . وهبة الزحيلي (www.zuhayli.net) .

2- روى البخاري عن عبدالله بن عمر أنه كان يقول : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت في القرآن :

o i h g . انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : o i h g

NI K j ، رقم الحديث : (4782) ، ج6 ، ص116 .

خرج وأخوه كعب ابنا شرحبيل لعدائه ، فقدم مكة ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، جئناك في ابنا عندك فامن علينا ، وأحسن إلينا في فدائه. فقال: " من هو " ؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فهلا غير ذلك " . قالوا: ما هو؟ قال: " ادعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً " . قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسننت. فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " هل تعرف هؤلاء " ؟ قال: نعم ، هذا أبي وهذا عمي . قال : " فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما " . قال : ما أريدهما ، وما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم. فقالوا: ويحك يا زيد، أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال : " يا من حضر، اشهدوا أن زيدا ابني، يرثني وأرثه " . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا (1).

ثم جاءت سورة الأحزاب لتعطينا الحكم القاطع بإبطال التبني ، وذلك على النحو الآتي:

أ- نفي الله تعالى أن يكون المتبني ابناً للمتبني .

قال تعالى : X W U T S R Q P O I M L K J I H G F M :
 Le d c b a ` ^] \ [Y
 أي ما جمع الله قلبين في جوف واحد ، ولا زوجية وأمومة في امرأة ، ولا بنوة ودعوة (2) في رجل . والمعنى : أن الله تعالى كما لم يرَ في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين ، لم يرَ أن تكون المرأة الواحدة أمًّا لرجل وزوجاً له ، كما لم يرَ أن يكون الرجل الواحد دعيًّا لرجل - أي ابناً له بالتبني - وابناً صلبياً له ، لأن البنوة الحقيقية أصالة في النسب ، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل .

1- انظر : ابن الأثير ، علي بن محمد بن الأثير الجزري : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1 ، بيروت : دار المعرفة 1997م ، ج2 ، ص238 . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج14 ، ص118 . ابن القيم : زاد المعاد ، ج3 ، ص17 . السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج8 ، ص124 .
 2- الدعوة في النسب بالكسر . والمقصود هنا بنوة التبني . قال أبو عبيدة: يقال في النسب دعوة، [انظر : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي: مقاييس اللغة ، 6 أجزاء، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 1423هـ ، 2002م ، ج2 ، ص228 . عتريس ، محمد : المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الآداب ، 2006م ، ص44] .

M \ L أي النسب الذي تريدون إثباته لمن تتبنوه هو M [L ^ : هذا ابني لا غير ، ولكن هذا القول لا حقيقة له ، فلا يقتضي دعوكم ذلك ، أن يكون ابناً حقيقياً لمن ادّعاه ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فلا يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون لبشر قلبان ، M ` a b أي الثابت المحقق في نفس الأمر M c d e أي السبيل الحق (1) .

ب- دعوة الأبناء لأبائهم الحقيقيين في النسب

يقول سبحانه وتعالى : M g h i j k l m n o p q r { ~ تَعَمَّدَتْ قُلُوبَكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا | { z y x w u t s الأحراب: 5 .

يقول سيد رحمه الله تعالى : " وإنه لقسط وعدل أن يدعى الولد لأبيه . عدل للوالد الذي نشأ هذا الولد من بضعة منه حية . وعدل للولد الذي يحمل اسم أبيه ، ويرثه ويورثه ، ويتعاون معه ويكون امتداداً له بوراثاته الكامنة ، وتمثيله لخصائصه وخصائص آبائه وأجداده، وعدل للحق في ذاته الذي يضع كل شيء في مكانه؛ و يقيم كل علاقة على أصلها الفطري ، ولا يضع مزية على والد ولا ولد؛ كما أنه لا يحمل غير الوالد الحقيقي تبعه البنوة ، ولا يعطيه مزاياها . ولا يحمل غير الولد الحقيقي تبعه البنوة ولا يحابيه بخيراتها! " (2) .

ولم يسع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن يرد زيدا إلى حارثة وأمه ، وينفي القول الشائع : زيد بن محمد ؛ ليعمق الانتماء للأباء و الأمهات . وقد جاء في السنة النبوية الصحيحة ما يدل على منع الإنسان من انتمائه أو انتسابه إلى غير أبيه الحقيقي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام)) (3) .

وفي حال جهل المُتَبَنِّي نسب من تبناه أو عدم العثور على أصله ، فإنه يدعوه (مولى) أي مناصراً ومعيناً له ، و (أخاً في الدين) وهذا نسب إلى الأسرة الإسلامية الكبرى القائم نظامها على أساس متين من الأخوة والتعاون والودِّ والتراحم . وبهذه الدعوة تتجلى علاقة أديبية

1- انظر : الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص520 . الصابوني : صفوة التفاسير ، ج2 ، ص512 .

2- قطب : في ظلال القرآن ، ج5 ، ص2826 .

3- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ، رقم الحديث : (6766)،

ج8 ، ص156 .

شعورية لا تترتب عليها التزامات محددة ، كالتزام التوارث والتكافل ودفع الديّات ، وهي التزامات النسب بالدم التي كانت تلتزم من عادات العرب في التبني⁽¹⁾ .

ج- ما كان محمدُ أبا أحد من رجالكم

قال الله تعالى : **M مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ^٤ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** | الأحزاب: 40 .

" أي لم يكن أبا رجل منكم وليس له أبناء على الحقيقة ، ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الأبناء والأبء ، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة ، فكان حكمه حكمكم ، والادّعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير " (2) .

و قد يُقال أليس للنبي - صلى الله عليه وسلم - أبناء مثل : القاسم وإبراهيم وعبدالله ، فكيف تنفي الآية وجود الأبناء له !!؟ .

يُجيب على ذلك القرطبي رحمه الله تعالى بقوله : " ولم يقصد بهذه الآية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له ولد، فقد ولد له ذكور: إبراهيم، والقاسم، وعبدالله ولكن لم يعيش له ابن حتى يصير رجلا " (3) .

1- انظر : الزحيلي : ندوة بعنوان : حكم التبني وأبعاده الإنسانية والاجتماعية . موقع : د . وهبة الزحيلي (www.zuhayli.net) .

2- الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص 527 .

3- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج14 ، ص 173 . وانظر : البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر ابن محمد الشيرازي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1999م ، ص 559 .

المطلب الثاني : الشبهات التي أُثيرت حول زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش رضي الله عنها

خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب لزيد بن حارثة قبل تحريم التبني . روى ابن سعد في طبقاته : " قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على زيد بن حارثة فقالت : يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش . قال : فإني قد رضيت له لك . فتزوجها زيد بن حارثة (1) .

فرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يرى أن زينب ابنة عمته هي التي تحتمل الخروج عن تقاليد العرب ، والقضاء على عاداتها ، وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم أن تقاليد الجاهلية لم تكن قد انمحت من نفوس المسلمين بعد فقال لها : ((بل فانكحيه فإني قد رضيت له)) (2) . فالذي يقتضيه حكم النبي - صلى الله عليه وسلم - اعتبار الدين في الكفاءة هو الأصل لقوله تعالى : QM LU TSR الحجات : 13 فجوز للمولى نكاح الحرة النسبية الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً (3) .

وقبل أن تتردد زينب في هذا الزواج نزل قول الله عز وجل : M ! " \$ # % & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L الأحزاب : 36 ، وهنا لم يبق أمام زينب وأخيها إلا الامتثال والإذعان لأمر الله وقضائه (4) .

ولكن العلاقة الناتجة عن هذا الزواج ظلت واهية ، وازداد النفور يوماً بعد يوم ، واشتكى زيد أكثر من مرة ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقول له :

1- انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ 8 ، ص 101 .

2- رواه الحاكم وسكت عنه الذهبي . انظر : الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه : المستدرک على الصحيحين ، 5 مج ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990م ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ، باب ذكر زينب بنت جحش رضي الله عنها ، رقم الحديث : (6775) ، جـ 4 ، ص 25 .

3- انظر : ابن القيم : زاد المعاد ، جـ 5 ، ص 159 - 160 .

4- انظر : الشوكاني ، محمد بن علي : فتح القدير ، 5 أجزاء ، بيروت : دار الفكر ، ط2 ، سنة 1403 هـ ، جـ 4 ، ص 399 . الثعالبي ، عبدالرحمن : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، 3 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996م ، جـ 2 ، ص 575 .

((أمسك عليك زوجك)) (1) . فأُنزل الله تعالى : M : < = > ? @ A B
 V U S R Q P O N M L K J I H G F E D C
 j i l g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W
 LI K الأحزاب: 37 . وأصبحت الحياة بين زيد وزينب لا تطاق ، وكان لا بدّ من الطلاق ،
 إلى أن أتى أمر الله عز وجل ، وغلب على ذلك كله ، فسمح لزيد بطلاقها (2) .

وهكذا جعل الله تعالى في زواج نبيه - صلى الله عليه وسلم - من زوج متبناه بعد طلاقها إبطالاً للتبني واستئصالاً له من جذوره .

هذا هو ملخص هذه القصة ، ولكن العجيب في الأمر أن المطلع على كتب التفسير يجد كثيراً منها ذكرت أقوالاً اتخذت فيما بعد منطلقاً لكثير من الشبهات والشكوك التي تطعن في الإسلام ، وترمي بالنقص أكمل الخلق وسيد الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتشوه سيرته الشريفة .

فقد ذكرت هذه التفاسير (3) ما ملخصه : أن نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى زينب بنت جحش وهي تحت زيد بن حارثة على حالة جعلت قلبه يتعلق بها ، ويودّ لو فارقها زيد فيزوجها ، وخشي أن يقول الناس : أمر رجلاً بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلقها .

1- رواه الترمذي وقال : " حسن صحيح " . انظر : **الجامع الصحيح** ، كتاب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة الأحزاب ، رقم الحديث : 3136 ، جـ9 ، ص266 . قال الألباني : " صحيح " . انظر الألباني ، محمد ناصر الدين : **صحيح وضعيف سنن الترمذي** ، 8 أجزاء ، مصر : مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة ، جـ7 ، ص212 .

2- جاء في صحيح مسلم " لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَزَيْدٍ : فَادْكُرْهَا عَلَيَّ . قَالَ : فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تَحْمَرُ عَجِينَهَا . قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتَهَا عَظَمْتُ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَتَكَصْتُ عَلَى عَقِي . فَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ أُرْسَلُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَذْكُرُكَ . قَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوامِرَ رَبِّي . فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ . وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَخَلَ عَلَيْهَا بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ : فَقَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رَجُلَانِ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَّبِعُ حُجْرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ . وَيَقُلْنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ قَالَ : فَمَا أَنْزَرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرْتِي . قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَدَهَبَتْ أَدْخَلَ مَعَهُ فَأَلْفَى السَّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ . قَالَ : وَوَعظَ الْقَوْمُ بِمَا وَعُظُوا بِهِ " . [انظر : **صحيح مسلم** . كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس ، رقم الحديث : (1428) ، جـ2 ، ص467] .

3- انظر : الطبري : **جامع البيان** ، جـ20 ، ص273 . القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص167 . الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص427 . وذكر ذلك ابن سعد في الطبقات . انظر : ابن سعد : **طبقات ابن سعد** ، جـ8 ، ص102 .

يقول الزمخشري : " وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبصرها بعدما أنكحها إياه، ف وقعت في نفسه ، فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ، ولو أرادتها لاختطبها ، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ، ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أفارق صاحبتي ، فقال : ((مالك : أراك منها شيء؟)) قال : لا والله ؛ ما رأيت منها إلا خيراً ، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني ، فقال له : ((امسك عليك زوجك واتق الله)) ، ثم طلقها بعد " (1) .

هذه الرواية ذكرها الحاكم في مستدركه (2) قال ابن عمر : فحدثني عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : " جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيت زيد بن حارثة يطلبه ، وكان زيد إنما يقال له : زيد بن محمد فربما فقده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الساعة فيقول : ((أين زيد ؟)) فجاء منزله يطلبه فلم يجده فتقوم إليه زينب فتقول له : هنا يا رسول الله . فولى فيولي يهمهم بشيء لا يكاد يفهم عنه إلا سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب ... " .

وقد فتح مثل هذا القول الباب لأعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين ومن تتلمذ عليهم من أبناء المسلمين فاتخذوه دعامة لتجنيهم وتصايحهم واتفاقهم للمكيدة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كتبهم وأقوالهم .

ومن يقول بذلك ينسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أمرين :

1- تعلق قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش - رضي الله عنها - بعدما أنكحها زيدا رضي الله عنه .

2- أنه أخفى في نفسه أمراً وأظهر خلافه : أخفى محبتها والرغبة في طلاقها ليتزوجها، وأظهر الحرص على بقائها مع زيد .

1- الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص427 .

2- رواه الحاكم وسكت الذهبي . انظر : المستدرک علی الصحیحین ، ج4 ، ص25 . وهذه الرواية ضعيفة لضعف عبدالله بن عامر الأسلمي ، قال عنه ابن حجر : ضعيف . [انظر : ابن حجر : تقريب التقریب ، ج2 ، ص226] .

ومثل هذا لا يليق قطعاً بالرسول - صلى الله عليه وسلم - للأسباب التالية (1):

أولاً : الرواية ضعيفة لا يُحتج بها .

ثانياً : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس ممن يفتنون بالنساء ، أو يميل قلبه لرؤيتهن ، أو يتزوج لمجرد الشهوة .

ثالثاً : زينب ابنة عمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ربيت على مرأى منه ، فكان يعرفها حق المعرفة قبل أن يتزوجها زيد ، وما كان يخفى عليه ما تتمتع به من جمال ، فلو كان جمال المرأة يبهر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويميل قلبه لخطبها لنفسه وتزوجها ، ولكنه ليس كغيره من الرجال الذين يفتنون بالجميلات ؛ ولذا خطبها لمولاه ومتبنّاه ، فاستنكفت وأبى أخوها عبدالله بن جحش هذا الزواج ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصرّ عليه .

رابعاً : الأمر الذي أخفاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأظهر خلافه وخشي أن يتكلم فيه الناس ، هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه .

خامساً : علة الزواج بزینب هي إبطال التبني وأثاره التي انتشرت في الجاهلية ، ومنها عدم الزواج بزوجة الابن المتبنّي ، فزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب قضى على التبني وأثاره السلبية .

يقول سيد رحمه الله : " فقد فرض له أن يتزوج زينب ، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأديعاء . وإن فلا حرج في هذا الأمر ، وليس النبي صلى الله عليه وسلم فيه بدعاً من الرسل " (2) .

1- انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ8 ، ص 672 . قطب : في ظلال القرآن ، جـ5 ، ص2831 . هيكل ، محمد حسين : حياة محمد ، ط3 ، 13 ، مصر : مكتبة النهضة ، ص 315 . مغنية ، محمد جواد : التفسير الكاشف ، 7 أجزاء ، ط3 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1981م ، جـ6 ، ص220-224 .
2- قطب : في ظلال القرآن ، جـ5 ، ص2831 .

الفصل الرابع

خصوصيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في زواجه وأزواجه

تمهيد

المبحث الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : ما أحل الله لرسوله من النساء

المطلب الثاني : حكم تطليق النبي - صلى الله عليه وسلم - واحدة من أزواجه

المطلب الثالث : قسمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين أزواجه بالسوية

المبحث الثاني : خصوصيات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : وعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : أحكام خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث : بعض أحوال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه

تمهيد

خصّ الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بخصوصيات دون بقية أمته ، والمراد بخصوصائص الرسول صلى الله عليه وسلم " ما أفرد الله تعالى به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من أحكام دون بقية أمته، تشريفاً له وتكريماً " (1) .

والبحت في هذه الخصائص فيه فوائد ، منها :

1- أن الخصائص ومنها خصائصه في النكاح فيها زيادة علم بجانب من جوانب حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتعلق بسيرته وشمائله . ودراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والعلم بتفاصيلها من أفضل العلوم وأنفعها .

2- لا يجوز التأسي بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما هو من خصائصه ، ولذا وجب أن تُعلم كي لا يزعم زاعم جواز متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيها .

وقد أشار إلى هاتين النقطتين الشافعي والقرطبي ، فقال الشافعي : " إن الله - تبارك وتعالى - لما خص به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من وحيه وأبان بينه وبين خلقه بما فرض عليهم من طاعته ، افترض عليه أشياء خففها عن خلقه ، ليزيده بها إن شاء الله قربة ، وأباح له أشياء حظرها على خلقه زيادة في كرامته وتبييناً لفضيلته " (2) .

وقال القرطبي " خصّ الله تعالى رسوله في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزية على الأمة وُهبّت له ، ومرتبة خُص بها ، ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره ، وحُرمت عليه أفعال لم تحرم عليهم ، وحُللت له أشياء لم تحل لهم " (3) .

1- الأثقر ، عمر سليمان عبدالله : مسائل من فقه الكتاب والسنة ، ط3 ، عمّان : دار النفائس ، 1999م ، ص17 .
2- الشافعي ، محمد بن إدريس : الأم ، 8 أجزاء ، ط2 ، بيروت : دار الفكر ، 1983م ، ج5 ، ص150 .
3- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج14 ، ص211 .

المبحث الأول

خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : ما أحل الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - من النساء

يقول الله تعالى : M i k j n m l p o r q s t { z y x w v u } ~ وَنَاتِ خَلْقَكَ الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ ۝ لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ ۝ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا L الأحزاب: 50 .

1- زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أربع نساء

أباح الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يعدد من النساء فوق الأربع دون بقية أمته ، فالحد الأعلى الذي أباحه للرجال أن يجمع الواحد في عصمته في وقت واحد هو أربع زوجات [Z M] \ [^ _ ` a b] النساء: 3 ، وقد أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أسلم على أكثر من أربع زوجات أن يختار أربعاً ويفارق من سواهن (1) . فالرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما جمع من النساء في عصمته تسع نسوة في وقت واحد كان ذلك بتشريع إلهي رباني M i k j n m l p o r q s t .

وقد أثار أعداء الإسلام عاصفة ظالمة من الشكوك والشبهات على تزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأكثر من أربع نساء ، ورموه بسبب ذلك بصفات لا تليق ، وقد علم الله عز وجل بما سيقوله المغرضون والضالون ، فأبان في هذا النص أن الذين يعترضون على رسوله في زواجه بذلك العدد إنما يعترضون على ربهم الذي أحل لرسوله ذلك العدد لا على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالله هو الذي أحل له ذلك .

1- عن سالم عن ابن عمر قال : أسلم غيلان بن سلمة الثقفي وتحتة عشر نسوة في الجاهلية وأسلمن معه فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يختار منهن أربعاً . رواه أحمد . انظر : أحمد : المسند ، رقم الحديث : (5558) ، جـ 2 ، ص 83 . قال الألباني : " صحيح " . انظر : الألباني : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، ص 146 .

وهناك نقطتان جوهريتان تدفعان الشبهة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتلقمان الحجر لكل مفترٍ أثيم ، وهاتان النقطتان هما (1) :

أ- لم يعدد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة ، أي بعد أن جاوز من العمر الخمسين .

ب- جميع زوجاته الطاهرات ثيبات ، ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها ، فهي بكر ، وهي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها في حالة الصبا والبقارة .

ومن هاتين النقطتين ندرك تفاهة هذه التهمة ، وبطلان ذلك الإدعاء ، فلو كان المراد من الزواج الجري وراء الشهوة ، أو السير مع الهوى ، أو مجرد الاستمتاع بالنساء ؛ لتزوج صلى الله عليه وسلم في سن الشباب لا في سن الشيخوخة ، ولتزوج الأبيكار الشبابات لا الأرامل المسنات ، وهو القائل لجابر بن عبدالله حين جاءه وعلى وجهه أثر التطيب والنعمة : ((هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : مَاذَا أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قُلْتُ : لَا بَلْ ثَيِّبًا . قَالَ : فَهَلَا جَارِيَةً تُلَاعِيكَ ؟)) (2) .

يقول عبدالكريم الخطيب في تفسيره : " إن هذه التوسعة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحياة الزوجية لم تكن لمجرد قضاء الشهوة ، كما يقول بذلك أهل الضلالات والكيد للإسلام ، بل إن هذه الخصوصيات التي للنبي - صلى الله عليه وسلم - إنما كانت في مقصدها الأول علاجاً لحالات نفسية واجتماعية واقتصادية لا نجد لها الدواء الناجع إلا في ظلال النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رأينا في زواجه - صلوات الله وسلامه عليه - من زينب مطلقاً متبناه ، والذي كان من حكمته رفع الحرج عن المسلمين في التزوج من نساء أديعائهم . وكما في زواجه - صلوات الله وسلامه عليه - من صفية بنت حيي ، وكان أبوها سيداً من سادات اليهود ، ورأساً من رؤوسهم ، فلما وقعت في السبي استنقذها النبي الكريم ، وحفظ كرامتها بزواجه منها . وهكذا نجد مع كل زواج تزوجه النبي - صلى الله عليه وسلم - حكمة قائمة وراءه أسمى وأعظم من مطلب المتعة وقضاء الشهوة " (3) .

1- انظر : الصابوني : تفسير آيات الأحكام من القرآن ، جـ2 ، ص316 - 318 .
2- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما) ، رقم الحديث : (4052) ، جـ5 ، ص96 .
3- الخطيب ، عبدالكريم : التفسير القرآني للقرآن ، 30 جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الفكر ، 1990م ، جـ22 ، ص737 .

2- المراد بالنساء اللاتي أحلهن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم

يظهر من النص السابق أن النساء اللاتي أحلهن الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم -
يندرجن ضمن الفئات الآتية :

الفئة الأولى : النساء اللاتي آتاهن أجورهن .

وهن نساؤه اللواتي دخل بهن، وعددهن إحدى عشرة امرأة واجتمع عنده منهن في وقت واحد تسع (1).

والقول بأن المراد بالنساء اللواتي أحلهن الله لرسوله هن اللواتي دخل بهن هو قول أكثر أهل العلم ، وذهب بعض أهل العلم منهم ابن زيد والضحاك والقرطبي إلى أن المراد بالإحلال كل امرأة يتزوجها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويؤتيها مهرها (2).

والآية بناء على رأي الفريق الثاني ناسخة للآية المتأخرة عنها في هذه السورة، وهي

قوله تعالى: N [ZYX W V U T S R Q P O N M L K J M :
L c b a ` _ ^
I k j i M : وقد استدل القرطبي بقوله تعالى : M :
L...n m فإن الإحلال لا يكون إلا بعد حظر (3).

وهذا الاستدلال غير سديد، فإن الإحلال من الله لا يلزم أن يأتي بعد حظر ، كقوله تعالى: 9 8 7 M : L البقرة: 275 ، وقوله : M أَلْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّبِيبَاتُ L المائدة: 5 ،
وقوله: M ! " # \$ % L المائدة: 96 . والصحيح ما ذهب إليه الجمهور لأمرين (4) :

الأول : قوله تعالى في الآية M p o q فإنه خبر عن أمر ماض ، وهو محمول عليه بظاهره ، ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال إلا بشروط .

الثاني: أنه تبارك وتعالى عطف على إحلال الأزواج إحلال بنات عمه وعماته، وبنات خاله وخالاته ، وهذا يدل على أن المراد بالزوجات اللاتي أحلهن المدخول بهن . وإلا فلو أراد كل امرأة أوتيت مهرها لما عطف عليه بنات عمه وعماته ، لأنهن يكنّ داخلات فيهن .

1- انظر : ابن العربي ، محمد بن عبد الله أبو بكر: أحكام القرآن ، 5 أجزاء ، ط2 ، القاهرة : دار الدعوة ، 1967م، ج3 ، ص1542 .

2- انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج14 ، ص182 .

3- انظر : المصدر السابق ، ج14 ، ص182 .

4- الأئشر : مسائل من فقه الكتاب والسنة ، ط3 ، ص20 .

وقد كان مهره - صلى الله عليه وسلم - لسنائه اثنتي عشرة أوقية ونصفاً أي خمسمائة درهم فضة ، إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإن النجاشي - رحمه الله - أمهرها عنه أربعمائة دينار ، وأما صفية بنت حيي فإنه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صدقها . وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقة أدى عنها مهرها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها (1) .

الفئة الثانية : النكاح بملك اليمين

أباح الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - النكاح بملك اليمين v u t s r M
L X W والمراد بما ملكت يمينه : الإماء اللواتي وصلن إليه من الفيء والغنيمة .

قال صاحب اللباب في علوم الكتاب : " واعلم أن اللاتي ملكت يمينه مثل : صفية وجويرية ومارية القبطية"(2) .

والسبب في اختصاص الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا النوع من النكاح ؛ أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - شرع له أن يصطفي من المغنم قبل قسمته بعضاً منه . وإلا فإن النكاح بملك اليمين تشريع عام للأمة جميعاً " (3) .

الفئة الثالثة : لا يجوز للرسول - صلى الله عليه وسلم - الزواج من غير المهاجرات ولا من الكتابيات .

أباح الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - زائداً على ما كان عنده من النساء بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته . واشترط لهذه الإباحة أن يكن من المهاجرات ، وفي هذا تعظيم لشأن الهجرة والمهاجرين والمهاجرات ، وتقديم للمهاجرات على غيرهن . وإذا كان الله لم يبح لرسوله - صلى الله عليه وسلم - المؤمنات غير المهاجرات فمن باب أولى أن يحرم عليه الكافرات، وقد أشار إلى هذا قوله : M وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ © لِلنَّبِيِّ L ، فقد قيد المرأة الواهبة التي تحل للرسول - صلى الله عليه وسلم - بوصف الإيمان .

-
- 1- انظر : ابن العربي : أحكام القرآن الكريم ، ج6 ، ص 397 .
 - 2- ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، ج15 ، ص 567 .
 - 3- انظر : الأشقر : مسائل من فقه الكتاب والسنة ، ص 22 .

يقول ابن العربي : " وبهذا يتميز علينا فإنه ما كان من جانب الفضائل والكرامة فحظه فيه أكثر ، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أظهر ، فجوز لنا نكاح الحرائر من الكتابيات ، وقصر هو لجلالته على المؤمنات . وإذا كان لا يحل له من لم تهاجر لنقصان فضل الهجرة فأحرى ألا تحل له الكتابية الحرة بسبب الكفر " (1).

والمراد بالهجرة ؛ الهجرة إلى المدينة ، وقال ابن كثير M هَاجَرَنَ ل أسلمن (2) ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : ((والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) (3) . والأول أصح ، لأن الهجرة إذا أطلقت وخاصة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - تنصرف إلى الهجرة إلى المدينة .

والمراد بالمعينة في الآية M أَلْتِي هَاجَرَنَ مَعَكَ ل الاشتراك في الهجرة ، لا الصحبة فيها (4) .

وإباحة الزواج من أبناء العم أو الخال ، وبنات العممة والخالة عدل وسط بين الإفراط والتفريط في مجال التشريع ، فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى ، فأباح بنت العم والعممة ، وبنت الخال والخالة، وتحريم ما فرطت اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت (5) .

الفئة الرابعة : زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بطريق الهبة .

أحل الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتزوج ممن وهبت نفسها له إذا رغب في ذلك من غير ولي ولا مهر ، والسر في عدم اشتراط الولي في النكاح في حق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أن اشتراط الولي إنما شرع لقلّة الثقة بالمرأة في اختيار أعيان الأزواج ، وخوف

1- ابن العربي : أحكام القرآن ، ج3 ، ص1547 .

2- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص 233 .

3- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتها عن المعاصي ، رقم الحديث : (6484) ، ج8 ، ص102 .

4- انظر : ابن العربي : أحكام القرآن ، ج3 ، ص1548 .

5- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص233 . الإيجي ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الشيرازي الشافعي : جامع البيان في تفسير القرآن ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م ، ج3 ، ص361 .

غلبة الشهوة في نكاح غير الكفاء ، وإلحاق العار بالأولياء ، وهذا معدوم في حق النبي صلى الله عليه وسلم (1) .

وقد صح في كتب السنة أن أكثر من امرأة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساهلي قال : " أَنْتُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : مَا لِي فِي النَّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ . فَقَالَ رَجُلٌ : زَوَّجْنِيهَا . قَالَ : أَعْطَاهَا ثَوْبًا . قَالَ : لَا أَجِدُ . قَالَ : أَعْطَاهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حديدٍ ، فَأَعْتَلَّ لَهُ ، فَقَالَ : مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ " (2) .

وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : " كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ : أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا ؟ ! فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى M " # \$ % & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ [\] ^ _ ` { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ " (3) . يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ " (3) .

وعن ثابت البناني قال : " كُنْتُ عِنْدَ أَنَسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ ، قَالَ أَنَسٌ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا بِي حَاجَةٌ ؟ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنَسٍ : مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا ، وَاسْوَأَاتَاهُ وَاسْوَأَاتَاهُ . قَالَ : هِيَ خَيْرٌ مِنْكَ رَغِبْتَ فِي النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَرَضْتَ عَلَيْهِ نَفْسَهَا " (4) .

وهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على أن بعض المؤمنات وقع منهن هبة أنفسهن للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن العلماء اختلفوا في تزوجه امرأة من الواهبات ، فذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يتزوج من الواهبات امرأة ، وذهب الجمهور إلى أنه كانت عنده من الواهبات امرأة (4) . " قال قتادة : هي ميمونة بنت الحارث .

1- انظر : ابن العربي : أحكام القرآن ، ج3 ، ص1549 .

2- رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، رقم الحديث : (5029) ، ج6 ، ص192 .

3- رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ؟ ، رقم الحديث : (5113) ، ج7 ، ص12 .

4- رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، رقم الحديث : (5120) ، ج7 ، ص13 .

5- انظر : المارودي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي : النكت والعيون ، 4 أجزاء ، ط1 ، الكويت : وزارة الأوقاف ، 1982م ، ج3 ، ص332 .

وقال الشعبي : هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار .

وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل : هي أم شريك بنت جابر الأسدية . وقال عروة بن الزبير : هي أم حكيم بنت الأوقص السلمية " (1) .

وفي هذا نظر إذ لم يورد القائلون بهذا نصاً صريحاً موثقاً يدل على صحته .

قال ابن حجر : " والمحفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات " (2) .

يقول سيد قطب : " وقد تضاربت الروايات حول ما إذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تزوج واحدة من هذا الصنف من النساء أم لم يتزوج ، والأرجح (3) أنه زوج اللواتي عرضن أنفسهن عليه من رجال آخرين ، وقد جعل الله هذه خصوصية للنبي - صلى الله عليه وسلم - بما أنه ولي المؤمنين والمؤمنات جميعاً . فأما الآخرون فهم خاضعون لما بينه الله وفرضه عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمنهم " (4) .

ولا بدّ هنا من أن أشير إلى مسألة ، وهي : حكم تزويج غير النبي - صلى الله عليه

وسلم - بطريق الهبة .

إذا تزوج رجل بطريق الهبة من غير ولي ولا مهر ولا شهود فإن هذا الزواج باطل لا شك في بطلانه ، ويقول المالكية والشافعية ببطلان نكاح من تزوج بطريق الهبة من غير مهر (5) . والحجة في ذلك قوله تعالى : **مَخَالصَةً لِّكَ مِن** الأحراب : 50 ، فعدوا ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وأنه يتزوج بلفظ الهبة بغير مهر بتوفر الأمرين معاً ، وأن معنى الاختصاص يفيد عدم التأسى بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في ما اختص به ، لأن الاختصاص في اللغة هو الانفراد عن الآخرين فيما شرع الله به بحيث لا يشمل الأمة فيما اختصه الله به (6) .

1- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ14 ، ص185 .

2- ودليل هذا الترجيح حديث سهل بن ساعد الساهلي السابق . انظر ص80 .

3- ابن حجر : فتح الباري ، جـ8 ، ص674 .

4- قطب : في ظلال القرآن ، جـ5 ، ص2876 .

5- الأمدي ، أبو الحسن علي بن أبي علي محمد : الإحكام في أصول الأحكام ، القاهرة : دار الكتب ، 1987م ، جـ1 ، ص247 .

6- انظر : الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى : الاعتصام ، جزآن ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، جـ2 ، ص10 .

اتفق الفقهاء على أن النكاح ينعقد بلفظ الإنكاح والتزويج، وهما اللفظان الصريحان في النكاح .

واقصر الشافعية والحنابلة على ذلك فلا ينعقد عندهم النكاح بغير هذين اللفظين قالوا لأن نص الكتاب ورد بهما وذلك في قوله تعالى {ولا تتكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف} وقوله تعالى {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها} ولم يذكر سواهما في القرآن الكريم، فوجب الوقوف معهما تعبدا واحتياطاً، لأن النكاح ينزع إلى العبادات لورود النذب فيه، والأذكار في العبادات تتلقى من الشرع، والشرع إنما ورد بلفظي التزويج والإنكاح. وبهذا قال سعيد بن المسيب وعطاء والزهري وربيعة (1).

وذهب الحنفية والمالكية إلى القول انعقاد النكاح بلفظ التزويج والتمليك أو ما جرى مجراهما كالبيع والهبة والأعطية ، إلا أن المالكية قالوا ينعقد بها النكاح بشرط ذكر المهر . ويظهر أنهم إنما اشترطوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ذكر المهر لأن اسقاط المهر عندهم يؤثر في النكاح ، ولما كان النكاح بلفظ الهبة يشعر باسقاط المهر ؛ نظر إلى أن لفظ الهبة من ألفاظ التبرعات ؛ لذلك قالوا ينعقد بها النكاح مع ذكر المهر .

واستدل المالكية والحنفية على انعقاد النكاح بهذه الألفاظ أو ما جرى مجراها بالآية التي استدلت بها الشافعية وهي قوله تعالى ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ ۖ لِلَّيِّ إِنْ أَرَادَ اللَّيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ ۖ﴾ الأحزاب: ٥٠ ، ووجه الدلالة أنهم قالوا : إن هذا اللفظ انعقد به نكاح النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجب أن ينعقد به نكاح أمته كلفظ الانكاح والتزويج (2) .

1- انظر : ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي : المغني ، 9 أجزاء ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، 1981م ، جـ6 ، ص533 . البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء : التهذيب في فقه الإمام الشافعي ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997م ، جـ5 ، ص311 .

2- انظر : الحصفكي ، ابراهيم بن أحمد بن علي بن يوسف : الدر المختار وحاشية ابن عابدين ، 8 أجزاء ، مصر : مطبعة البابي الحلبي ، جـ2 ، ص364 - 365 . الدردير ، أبو البركات أحمد : الشرح الكبير بحاشية الدسوقي ، 4 أجزاء ، مصر : مطبعة البابي الحلبي ، جـ2 ، ص221 .

المطلب الثاني : حكم تطليق النبي - صلى الله عليه وسلم - واحدة من أزواجه

1- التحريم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبدل نساءه أو يتزوج غيرهن

ذهب غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وغيرهم إلى أن قوله تعالى : ZYX W VU TSR QPONM LK JM [\ ^ _ ` a b c الأحزاب: 52 . نزلت مجازاة لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضاً عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما اخترن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان جزاؤهن أن الله قصره عليهن ، وحرّم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري ، فلا حرج فيهن (1) .

" وقد ذهب بعض من قال بهذا القول إلى أن الآية محكمة ، وهي ناسخة للإباحة المتقدمة في تزوجه من المؤمنات . وذهب إلى هذا الحسن وابن سيرين وأبو أمامة (2) ، وعلى هذا القول يحرم عليه - صلى الله عليه وسلم - التزوج بغير من عنده من النساء .

وقال فريق آخر : بل هذه الآية منسوخة ، والناسخ لها الآيات التي تقدمتها وهي قوله تعالى : M : i j k l m n o p q r s t u v w x { | } ~ وَبَنَاتِ خَلْقِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ ۝ لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ ۝ عِلْمِنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ L الأحزاب: ٥٠ ، وقوله : M " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ BA IC FE G H I L I الأحزاب: ٥١ . ويكون هذا مما نسخ فيه الأول الآخر في التلاوة في السورة الواحدة ، وهو نزر قليل كما يقول مكي بن أبي طالب (3) .

1- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص235 .

2- ابن أبي طالب ، مكي : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، ط1 ، جدة : دار المنارة ، 1986م ، ص386 .

3- انظر : المصدر السابق ، ص 386 .

وقيل هي منسوخة بالسنة (1)، والقول بالنسخ مروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحل الله له النساء " (2) .

ويرى ابن جرير أن قوله تعالى J M L K N M L يحرم على النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن يتزوج بأي امرأة سواء كانت من الأصناف المذكورة أو غيرها ، فقد قال بعد حكايته أقوال المفسرين في الآية : " وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحلتهن لك بقولي (إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي أَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ...) إلى قوله (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) . وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ) عقيب قوله (إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ) وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل الأخرى منهما. فإذا كان ذلك كذلك ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى (3) " .

واستحسن ابن كثير ما حكاه ابن جرير فقال : " واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكنّ تسعاً . وهذا الذي قاله جيد ، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف ، فإن كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا ، ولا منافاة " (4) .

قال الطبري في قوله تعالى Z Y M [N : " لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن " (5) .

وقد تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - بملك اليمين مارية القبطية وريحانة القرظية وكانتا لهنّ المنزلة السامية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

1- مكي : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، ص 386 .

2- رواه النسائي . انظر : سنن النسائي الكبرى ، كتاب النكاح ، باب ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه في النكاح وما أباح الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم وحظره على خلقه زيادة في كرامته وتبييناً لفضله ، رقم الحديث: (5311) ، ج3 ، ص260 . قال الألباني : "صحيح الإسناد" . انظر : الألباني: صحيح وضعيف سنن النسائي ، ج7 ، ص267 .

3- الطبري : جامع البيان ، ج 20 ، ص299 .

4- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص236 .

5- الطبري : جامع البيان ، ج 20 ، ص299 .

2- تحريم طلاق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

استدل الضحاك بقوله تعالى : LU TSR QPM الأحراب: 52 ، على تحريم تطليق الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأي واحدة ممن هنّ في عصمته بعد نزول الآية⁽¹⁾ .
ولم يطلّق - عليه الصلاة والسلام - إلا حفصة ثم راجعها⁽¹⁾ . فإن قيل : إن كان تطليق النبي - صلى الله عليه وسلم - لأي من أزواجه محرماً ، فكيف طلّق حفصة إذن ؟
قال ابن كثير : " إنما دلت الآية على ألا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال ، فالله أعلم " (3) .

1- الطبري : جامع البيان ، جـ 20 ، ص 301 .

2- روى النسائي عن ابن عمر رضي الله عنه قال : أن رسول - صلى الله عليه وسلم - كان طلق حفصة ثم راجعها .
[انظر : سنن النسائي ، كتاب الطلاق ، باب الرجعة ، رقم الحديث : (5755) ، جـ 3 ، ص 403 . قال الألباني : صحيح . انظر الألباني : صحيح وضعيف سنن النسائي ، جـ 8 ، ص 132] .

3- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ 4 ، ص 236 .

المطلب الثالث : قسم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين أزواجه بالسويّة

ألزم الله تعالى من كان عنده أكثر من زوجة بالعدل بينهما في القسم ، وكان القسم واجباً في حقه صلى الله عليه وسلم قبل نزول قوله تعالى M " # \$ % & ') + , , BA@ ? = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - L H G F E I C الأحزاب: 51 . وكان صلى الله عليه وسلم أعدل من قسم بين أزواجه ، فلما نزلت الآية لم يعد القسم واجباً في حقه صلى الله عليه وسلم .

وإلى كون الآية نزلت توسعة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقسمة بين نسائه، ذهب أكثر المفسرين ومنهم : ابن عباس ، والحسن البصري ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو رزين، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم⁽¹⁾ .

ويدل لهذا القول تعليل النص للحكم M 6 5 4 3 L 7 ، ويدل عليه ما رواه البخاري عن معاذة⁽²⁾ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية { تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ } فَقُلْتُ لَهَا : مَا كُنْتَ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ : كُنْتُ أَقُولُ لَهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أُؤْثِرَ عَلَيْكَ أَحَدًا⁽³⁾ . فلو كان واجباً عليه العدل بينهما لما استأذن نساءه ، ولما كانت إجابة عائشة - رضي الله عنها - ما أجابت به . ومعنى الإرجاء التأخير⁽⁴⁾ . وذكر ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أرجأ سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة⁽⁵⁾ .

وذكر ابن حجر والطبري في تأويل قوله تعالى M " L أقوالاً⁽⁶⁾ :

- 1- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ4 ، ص234 .
- 2- معاذة بنت عبدالله العدوية أم الصهباء البصري ، وهي معدودة من فقهاء التابعين . انظر : المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي : فتح الأشراف لمعرفة الأشراف ، 14 جزءاً ، ط2 ، القاهرة : دارالكتاب الإسلامي ، 1993م ، جـ12 ، ص443 .
- 3- رواه البخاري ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قول تعالى : M " # \$ % & ') L... ، رقم الحديث : (4789) ، جـ6 ، ص118 .
- 4- أرجأ الشيء : أخره ، [انظر : ابن فارس : مقاييس اللغة ، جـ2 ، 410] .
- 5- انظر : الطبري : جامع البيان ، جـ20 ، ص292 .
- 6- الطبري : جامع البيان ، جـ20 ، ص294 . ابن حجر : فتح الباري ، جـ8 ، ص675 .

* جعله الله في حلٍّ من ذلك أن يدع من يشاء منهن، ويأتي من يشاء منهن بغير قسم، وكان نبي الله يقسم ، فيكون معنى ترجي : تؤخر . وتؤوي : تضم . قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد .

* تطلق وتخلي سبيل من شئت من نساءك ، وتمسك من شئت منهن فلا تطلق . قاله ابن عباس .

* تترك نكاح من شئت وتتكح من شئت من نساء أمتك ممن أحلَّهن الله لك . قاله قتادة عن الحسن .

* يؤوي إليه من يشاء ممن وهبت نفسها له .

واختار الطبري القولين الأخيرين ، قال : " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلَّهن له من يشاء ، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن. إذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تتكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تتكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم " (1) .

وقد استحسّن ابن كثير ما ذهب إليه الطبري وجوده وقواه ، وقال : " وفيه جمع بين الأحاديث " (2) .

ويرى الزمخشري أنّ الآية تشمل القولين كما تشمل إباحة الطلاق ، قال : " وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض ؛ لأنه إما أن يُطلق ، وإما أن يمسك ؛ فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم . وإذا طلق وعزل ، فإما أن تخلي المعزولة لا يبتغيها ، أو يبتغيها " (3) .

وقد نقل الألويسي فقه الزمخشري هذا ، ثم قال : " ولقد أجاد فيما أفاد " (4) .

1- الطبري : جامع البيان ، ج-20 ، ص294

2- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج-4 ، ص 435 .

3- الزمخشري : الكشاف ، ج-3 ، ص 269 .

4- الألويسي : روح المعاني ، ج-22 ، ص 62 .

الحكمة من وراء هذا التشريع :

بين الله الحكمة من وراء ذلك بقوله : M 3 4 5 6 7 8 9 : ;
< = الأجزاء: 51 ، أي إذا علمت أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت
قسمت ، وإن شئت لم تقسم فلا جناح عليك (1) .

قال القرطبي : " قال قتادة وغيره: أي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهم أدنى إلى
رضاهن إذا كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرت أعينهن بذلك ورضين، لأن
المرء إذا علم أنه لا حق له في شيء كان راضياً بما أوتي منه وإن قل . وإن علم أن له حقاً لم
يقنعه ما أوتي منه ، واشتدت غيرته عليه وعظم حرصه فيه . فكان ما فعل الله لرسوله - صلى
الله عليه وسلم - من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى
استقرار أعينهن بما يسمح به لهن ، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه " (2) .

1- انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص435 .

2- القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ، ج14 ، ص 190 - 191 .

المبحث الثاني

خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : وعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً : تخييرهن بين الدنيا والآخرة

قال تعالى : M { | } ~ إن كنتم تُرِدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْ تَخْتَرُونَ ۖ وَأَسْرَحْتُمْ ۗ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُحْسِنِينَ .
عَظِيمًا لـ الأحزاب : 28 - 29 .

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : " دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم . قال : فأذن لأبي بكر فدخل . ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً حوله نساؤه وأجماً ساكتاً . قال : فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة (1) سألتني النفقة ففمت إليها فوجأت (2) عنقها ، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنِي النِّفْقَةَ . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول : تسألن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً أبداً ليس عنده . ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية M { | } ~ إن كنتم تُرِدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْ تَخْتَرُونَ ۖ وَأَسْرَحْتُمْ ۗ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُحْسِنِينَ .
مِنَ الْمُحْسِنِينَ لـ الأحزاب : 28 - 29 ، قال فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة إنني أريد أن

أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك . قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت . قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله

1- بنت خارجة هي : لهية بنت زيد ، زوجة عمر بن الخطاب وأم ولده . انظر : ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج5 ، ص390 .

2- وجاءت : طعنت . انظر : النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي : شرح صحيح مسلم ، 16 جزءاً ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1990م ، ج2 ، ص1105 .

لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا وَلَا مُتَعَتَّنًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا⁽¹⁾.

لقد اختار النبي - عليه الصلاة والسلام - لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف ، فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار⁽²⁾ ، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا ، فكان يختار الاستعلاء على متاع الدنيا والرغبة الخالصة فيما عند الله تعالى .

ولكن نساءه طلبن السعة في النفقة والبسط في الحياة ، فحزن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى احتجب عن أصحابه ، حتى جاؤوا وأدخلوا عليه السرور بتعنيفهم لأزواجه على طلب متاع الدنيا والسعة في النفقة . ونزلت آيتا التخيير تحددان الطريق ، فإمَّا الحياة الدنيا وزينتها ، وإمَّا الله ورسوله والدار الآخرة ، فقال سبحانه : { M | } ~ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْ تَخْتَرُونَ أَمْ تَكُونُونَ فِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَ بِهَا وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ أَكْبَرُ مِمَّا تُحِبُّونَ فَآتِنَا مَا نَسْأَلُ } [الأعراف : ٣٢ - ٣٩] .

فخيرهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أن يفارقهن ، فتحصل لهن الببحوحة والسعة ، وبين الصبر على ما عنده من ضيق العيش ورقة الحال ، ولهن عند الله في مقابل ذلك خير الجزاء . فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ؛ فاجتمع لهن في كنف الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير الدنيا من حسن الذكر وطيب الثناء إلى يوم القيامة ، وفي الآخرة ما أعده الله لهن من عظيم المنزلة في عليين بجوار خير زوج في العالمين⁽³⁾ .

وقوله تعالى : { M فَنَعَالَيْتُمْ أَمْ تَخْتَرُونَ } أي أعطيك من متعة الطلاق وهي : مال يعطى للمطلة . وقوله : { M وَأَسْرَحْتُمْ } أي أطلقكن من غير ضرار وبدعة⁽⁴⁾ .

1- رواه مسلم : انظر : صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم الحديث : (1978) ، ج2 ، ص 1104 .

2- عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول : وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أَوْقَدَ فِي أَنْبِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَارٌ . قَالَ : قُلْتُ : يَا خَالَهٖ فَمَا كَانَ يَعْشِيكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جِبْرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَاجِحٌ ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ اللَّبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ . [رواه مسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الزهد الرفائق ، باب شدة عيش النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (2972) ، ج4 ، ص 228] .

3- انظر : عبدالعزيز ، أمير : التفسير الشامل ، 6 أجزاء ، القاهرة : دار السلام ، ط1 ، 2000م ، ج5 ، ص 2707 .

4- انظر : ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ، ج6 ، ص 204 . الزحيلي : التفسير المنير ، ج22 ، ص 288 .

ثانياً : مقدار ثوابهن وعقابهن

قال الله تعالى : **م** يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ # \$ % & ' () * + , - .
/ الأحزاب: 30 - 31 .

بين الله سبحانه وتعالى لنساء النبي - صلى الله عليه وسلم - مقدار عقابهن إن أتين معصية كبيرة ظاهرة القبح كالنشوز وعقوق الزوج وسوء الخلق⁽¹⁾ ، فيكون عقابهن مضاعفاً لشرف منزلتهن ، وفضل درجتهم ، وتقدمهن على سائر النساء ؛ فهن أهل بيت النبوة ، وكان تضعيف العذاب لهن يسيراً هيناً على الله عز وجل الذي لا يحابي أحداً لأجل أحد .

والفاحشة: كلُّ شيء جاوزَ قدره ... ولا يكون ذلك إلا فيما يُتكرره⁽²⁾ . وقال الزمخشري: " الفاحشة : السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة . والمبينة : الظاهرة فحشها . والمراد : كل ما اقترفن من الكبائر . وقيل : هي عصيانهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشوزهن ، وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله . وقيل : الزنا " ⁽³⁾ .

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما خير نساءه واخترن الله ورسوله أدبهن الله وهددهن بالتوقي عما يسوء النبي ويقبح بهن من الفاحشة التي هي أصعب على الزوج من كل ما يأتي به زوجته ، وأوعدهن بتضعيف العذاب ، وفيه حكمتان⁽⁴⁾ :

إحداهما : أن زوجة الغير تعدب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفسد ، وزوجة النبي تعدب إن أتت به لما فيه من إيذاء قلبه والإضرار بمنصبيهِ ، وعلى هذا بنات النبي - عليه السلام - كذلك ، ولأن امرأة لو كانت تحت النبي - عليه الصلاة والسلام - وأتت بفاحشة ؛ تكون قد اختارت غير النبي على النبي ، ويكون ذلك الغير خيراً عندها من النبي وأولى ، والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الغير ، فقد أنزلت منصب النبي مرتبتين فتعدب من العذاب ضعفين .

وثانيهما : أن هذا إشارة إلى شرفهن ، لأن الحرة عذابها ضعف عذاب الأمة إظهاراً لشرفها ،

- 1- انظر : ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، جـ 15 ، ص 539 .
- 2 - انظر : ابن فارس : مقاييس اللغة ، جـ 4 ، ص 381 .
- 3- الزمخشري : الكشاف ، جـ 3 ، ص 519 .
- 4- انظر: ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، جـ 15 ، ص 539 .

ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم .

وقوله تعالى : **وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ل أي لا تمنعه مكانتهن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عذابهن كما قد يتبادر إلى الذهن ⁽¹⁾ .

وقد بين الله عز وجل مقدار ثوابهن فقال : **M " # % \$ & ' (+ * , - . / L و " القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع " (2)** .

ومعنى الآية : ومن تطع منكن الله ورسوله وتخضع جوارحها ، وتستجيب لأمر ربها ، وتعمل صالحاً ، يضاعف لها الأجر والثواب مرتين ؛ لكونها من أهل بيت النبوة ، وأعد الله لها زيادة على هذا رزقاً كريماً في الآخرة .

فالآيتان تقرران أن الله جعل ثواب طاعة أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وعقاب معصيتهن أكثر من غيرهن . وبينت الشريعة أنه كلما تضاعفت الحرمات تضاعفت العقوبات ، ولذلك ضوعف حد الحر على العبد ، والثيب على البكر .

ولما كان أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في مهبط الوحي ، وفي منزل أوامر الله تعالى ونواهيه قوي الأمر عليهن ، ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن ، فضوعف لهن الأجر والعذاب .

ثالثاً : التربية الإيمانية لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

1- النهي عن الترفيق في الكلام والخضوع به .

قال الله تعالى : **M 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = > ? @ A B C D** الأحزاب: 32 . والمعنى : إن أردتن التقوى ورضا الله ورسوله فلا تلسن بالكلام ولا ترفقنه عند محادثة الرجال ، وليكن كلامكن بجدٍ وحزم وقوة حتى لا يطمع الخيانة مَنْ في قلبه ميل إلى الريبة والفسق والفجور ، وقلن القول المعروف المعتاد الذي ليس فيه ترخيم الصوت ، البعيد عن الريبة الذي يختلف عن مخاطبة الأزواج ⁽³⁾ .

1- انظر : قطب : في ظلال القرآن ، ج5 ، ص285 .

2- الراغب : المفردات في غريب القرآن ، ص413 .

3- انظر : الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص521 .

وهذا النهي لا يعني أن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - على حال من السوء تقتضي المنع والكف ، وإنما المراد حملهنّ على أسمى الفضائل وملازمتها .

يقول سيد رحمه الله : " وَمَنْ هُنَّ اللواتي يحذرهن الله هذا التحذير؟ إنهن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمّهات المؤمنين ، اللواتي لا يطمع فيهن طامع ، ولا يرفُ عليهن خاطر مريض ، فيما يبدو للعقل أول مرة . وفي أي عهد يكون هذا التحذير؟ في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وعهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع الأعصار ... كيف بنا في هذا المجتمع ، في هذا العصر ، في هذا الجو ، ونساء يتخنثن في نبراتهم ، ويتميعن في أصواتهن ، ويجمعن كل فتنة الأنثى ، وكل هتاف الجنس ، وكل سعار الشهوة ؛ ثم يطلقنه في نبرات وندمات؟ وأين هنّ من الطهارة؟ وكيف يمكن أن يرف الطهر في هذا الجو الملوث ، وهن بذواتهن وحركاتهن وأصواتهن ذلك الرجس الذي يريد الله أن يذهبه عن عباده المختارين؟ " (1) .

وقوله تعالى : L D C B M فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحنٌ، ولا إيماء ولا مزاح كي لا يكون مدخلاً إلى شيءٍ آخر وراءه من قريب أو من بعيد (2) .

2- الأمر بالقرار في البيوت والنهي عن التبرج

قال الله عز وجل : L M L K J I H G F M : الأحزاب: 33 ، ومعنى L F M (3) الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة .

" وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً . إنما هي إيماء لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن ، وهو المقر وما عداه استثناء طارئاً لا يتقلن فيه ولا يستقررن ، إنما هي الحاجة تقضى وبقدرها . والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى . غير مشوهة ولا منحرفة ولا ملوثة ، ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة " (4) .

1- قطب : في ظلال القرآن ، ج5 ، ص2859 .

2- انظر : المرجع السابق : ج5 ، ص2859 .

3- قَرَّ: " قر في مكانه يقر قرارا إذا ثبت ثبوتا جامدا " . الراغب : المفردات في غريب القرآن ، ص 398 .

4- قطب : في ظلال القرآن ، ج5 ، ص2859 .

LM L K J I M وذلك حين الاضطرار إلى الخروج بعد الأمر بالقرار في البيوت . ولقد كانت المرأة في الجاهلية الأولى تتبرج . وقد اختلف بالمراد بالجاهلية الأولى .

قال صاحب التفسير الشامل : " اختلفوا بالمراد بالجاهلية الأولى ، والأظهر أنها جاهلية الكفر قبل الإسلام ، وأن الجاهلية الأخرى هي جاهلية الفسق والفجور والضلال والبعد عن منهج الله عقب غياب الإسلام " (1).

ويُلاحظ مما سبق أن الجاهلية الأولى كانت قبل البعثة المحمدية ، وأنّ الجاهلية الأخرى هي جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله ، وهو مما يلاحظ في هذا العصر . فلقد أسهمت وسائل الإعلام المختلفة في إشعال الغرائز الجنسية عند المرأة والرجل على حدٍ سواء ، وإشاعة الفجور وإثارة الهوى والشهوة . وهذه الحضارة المادية الحديثة بجحودها وتمردتها عن منهج الله عز وجل تحرض على التبرج والفاحشة وتعيدنا إلى عمى الجاهلية الأولى .

ذكر العلماء من صور التبرج في الجاهلية الأولى (2) :

- * إذا خرجن من بيوتهن ؛ كانت لهن مشية تكسر وتغنج.
- * التبختر وإظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال.
- * تلف الخمار عن رأسها ولا تشده ، فتظهر قلاندها وعنقها .
- * تمر بين الرجال مسفحةً بصدورها لا يواريه شيء .

هذه هي صور تبرج الجاهلية الأولى التي حذر منها القرآن الكريم وحرّمها ليظهر المجتمع من آثارها ويبعد عنه عوامل الفتنة ودواعي الغواية والجريمة . ومن ينظر إلى مجتمعنا اليوم يجد هذه الصور لا تزال موجودة ، بل وغيرها الكثير الكثير مما لم تعرفه الجاهلية الأولى.

3 - مداومة الطاعة لله ورسوله .

قال تعالى : O M P Q R TS L U الأحراب: 33 .

1- عبدالعزيز : التفسير الشامل ، ج5 ، ص 2713 .

2- انظر : الطبري : جامع البيان ، ج6 ، ص259 - 260 . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص218 . قطب : في ظلال القرآن ، ج5 ، ص2860 .

بعد أن أمرهن الله تعالى بالقول المعروف والقرار في البيوت ، أمرهن بإقامة الصلاة ، أي أدائها على الوجه المطلوب شرعاً من الخشوع وإتمام الأركان والشروط ، وإعطاء الزكاة ، وإطاعة الله ورسوله في كل أمر .

" وخص الله تعالى الصلاة والزكاة لأهميتهما وآثارهما الكبرى ، فالأولى طهارة النفس وعماد الدين ، والثانية طهارة المال وطريق مقاومة الفقر ، فهما عمودا الطاعة البدنية والمالية " (1) .

وأمرهن الله تعالى بالعام بعد الخاص بقوله : M T S U إذ ليس التكليف منحصراً بالصلاة والزكاة ، وإنما هو شامل لكل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه ، وأمر الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - واحد (2) .

ثم بين الله سبحانه أن تلك الأوامر والنواهي والمواظ ، ليذهب المأثم عن الزوجات الطاهرات في بيت النبوة ، وتطهيرهن من دنس المعاصي والذنوب ، وتعمير قلوبهن بنور الإيمان ، فقال سبحانه : WM YX Z [\] ^ _ ` .
وتوجيه الأوامر لهنّ لأنهنّ قدوة الأمة .

والرَّجْسُ: القَدَرُ ؛ لأنه لَطَخَ وَخَلَطَ (3) . " قال مقاتل : الرجس : الإثم الذي نهى الله النساء عنه ، وقال ابن عباس : يعني عمل الشياطين وما لبيس لله فيه رضى . وقال قتادة : يعني السوء . وقال مجاهد : الرجس معناه الشك " (4) .

وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت ، من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس : هم زوجاته خاصة ، لا رجل معهن . وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : M ed cb gf h i . وقالت فرقة منهم الكلبي : هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، واحتجوا بقوله تعالى M Z [\] ^ _ ` بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان "عنكن ويظهركن" ، إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل ، كما يقول الرجل لصاحبه : كيف أهلك ، أي امرأتك ونساؤك ،

1- الزحيلي : التفسير المنير ، جـ22 ، ص 10 .

2- انظر : المرجع السابق ، جـ22 ، ص 11 .

3- انظر : ابن فارس : مقاييس اللغة ، جـ2 ، ص 407 .

4- ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، جـ15 ، ص 547 .

فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: M : 65 7 98 L هود: ٧٣ (1) .

وقد رجّح القرطبي أن الآية تشمل جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، فقال:
والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال: "
ويطهركم " لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلياً والحسن والحسين كانوا فيهم ، وإذا
اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقترنت الآية أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية
فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام (2) .

4 - الأمر بتعليم القرآن والسنة والتذكير بالعلم .

قال تعالى: M : ed cb i h gf o n ml j

p L الأحزاب: 34 . والمعنى : تذكرن نعم الله عليكن من جعل بيوتكن مهابط الوحي ، ولا
تتسين ما ينلى فيها من آيات الله من القرآن ، وما ينزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم -
من الحكمة البالغة ، والأحكام والعلوم والشرائع (3) .

" قال قتادة : الحكمة هي السنّة . وقال مقاتل : هي أحكام القرآن ومواعظه " (4) .

" وإنه لحظ عظيم يكفي التذكير به ، لتحس النفس جلاله قدره ، ولطيف صنع الله فيه ، وجزالة
النعمة التي لا يعدلها نعيم . وهذا التذكير يجيء كذلك في ختام الخطاب الذي بدأ بتخيير نساء
النبي - صلى الله عليه وسلم - بين متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وإيثار الله ورسوله والدار
الآخرة . فتبدو جزالة النعمة التي ميزهن الله بها ، وضآلة الحياة الدنيا بمتاعها كله
وزينتها " (5) .

-
- 1- انظر : الطبري : جامع البيان ، جـ 20 ، ص 263 . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ 14 ، ص 161 . ابن
كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ 4 ، ص 221 .
 - 2- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ 14 ، ص 162 .
 - 3- انظر : المصدر السابق ، جـ 14 ، ص 162 .
 - 4- الطبري : جامع البيان ، جـ 20 ، ص 268 .
 - 5- قطب : في ظلال القرآن ، جـ 5 ، ص 2863 .

فالأية تبين شرف أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلو مكانتهن ، وارتفاعهن
وسموهن بآيات القرآن الكريم ، وحظهن العظيم بسنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم ،
وأنهنّ المعلمات للأجيال ، وراسمات خطى العلم بالكتاب والسنة لمن بعدهن .

المطلب الثاني : أحكام خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً : فرض الحجاب عليهن

الحجاب : هو المنع . يُقال حجبتُه عن كذا ؛ أي منعتُه (1) .

اختص الله نساء رسوله - صلى الله عليه وسلم - بإيجاب الحجاب عليهن بأن يغطين وجوههن دون غيرهن . قال تعالى : **M وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ** **م** **ل** **أَحْزَابِ** : 53 .

وروى البخاري عن أنس قال : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبُرِّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ (2) .

يقول الألوسي : " **M وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ** **ل** الضمير لسناء النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام أي وإذا طلبتم منهن ، **M مَتَاعًا** **ل** أي : شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره **M فَسَأَلُوهُنَّ** **ل** فاطلبوا منهن ذلك ، **م** **ل** **أَي** : ستر " (3) .

ويقول أبو السعود : " **M وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ** **ل** الضمير لسناء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته صلى الله عليه وسلم **M مَتَاعًا** **ل** أي شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره **M فَسَأَلُوهُنَّ** **ل** أي المتاع **M** **ل** **أَي** ستر " (4) .

وقال الشوكاني : " **M فَسَأَلُوهُنَّ** **م** **ل** **أَي** من وراء ستر بينكم وبينهن " (5) .

والذي يفهم من كلام المفسرين هو ستر الشخوص .

وقد ذهب القاضي عياض إلى أنه لا يجوز لأمهات المؤمنين إظهار شخوصهن ، وإن كنَّ مستترات إلا ما دعت إليه الحاجة ، فقال : " فَرَضَ الْحِجَابَ مِمَّا اخْتَصَصْنَ بِهِ ، فَهُوَ فَرَضٌ

1- انظر : ابن فارس : مقاييس اللغة ، جـ2 ، ص115 .

2- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قَوْلُهُ : **M k j i hg f e** **L...s r q p o n m l** ، رقم الحديث : 4790 ، جـ6 ، ص118 .

3- الألوسي : روح المعاني ، جـ22 ، ص63 .

4- أبو السعود : ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، جـ5 ، ص236 .

5- الشوكاني : فتح القدير ، جـ6 ، ص69 .

عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار
شخصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز " (1) .

ولم يرتضِ ابن حجر ما ذهب إليه القاضي عياض ، فقال : " وليس فيما ذكره دليل
على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن ، وقد كن بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - يحججن
ويطفن ، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا
الأشخاص " (2) .

وقد جاءت النصوص ذاكرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرغب في حجب شخص
أمهات المؤمنين ، فلم يحكم الله برأيه ، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله قالت : "
خَرَجْتُ سَوْدَةَ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحَجَابُ لِحَاجَتِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَأَتَخَفَى عَلَيَّ مَنْ يَعْرِفُهَا
فَرَأَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَاَنْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ فَدَخَلْتَ
فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي قَالَتْ : فَاَنْكَفَأْتُ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرَقٌ فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ
ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرَقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجِي لِحَاجَتِكُنَّ " (3) .

والصواب في المسألة أنه يزول فرض الحجاب عليهن عند خروجهن للحاجة كالحج
وقضاء الحوائج وهذا ما يُستدل من الحديث ، أما ما دمن في منازلهم فوجب عليهن ستر
شخصهن كما أمرهن الله عز وجل في الآية والله أعلم .

وهذا ما رجحه أبو محمد الدينوري فقال : " ونحن نقول إن الله عز وجل أمر أزواج
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاحتجاب إذ أمرنا أن لا نكلمهن إلا من وراء حجاب
فقال: **م** وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ **ل** وَسِوَاءَ دَخَلَ عَلَيْهُنَّ الْأَعْمَى وَالبصير من
غير حجاب بينه وبينهن لأنهما جميعاً يكونان عاصيين لله عز وجل ويكن أيضاً عاصيات لله
تعالى؛ **ذ**ا أذن لهما في الدخول عليهن. وهذه خاصة لأزواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، كما خصصن بتحريم النكاح على جميع المسلمين ، فإذا خرجن عن منازلهن لحج

1- ابن حجر : فتح الباري ، جـ8 ، ص680.

2- ابن حجر : المصدر السابق ، جـ8 ، ص680 .

3- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : **k j i hg f e M** .

L t s r q p o n m l الأحزاب: ٥٣ ، رقم الحديث : (4795) ، جـ6 ، ص120 .

أو غير ذلك من الفروض أو الحوائج التي لا بد من الخروج لها زال فرض الحجاب لأنه لا يدخل عليهن حينئذ داخل فيجب أن يحتجبن منه إذا كن في السفر بارزات وكان الفرض إنما وقع في المنازل التي هن بها نازلات " (1) .

ثانياً : حرمة نكاحهن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

حرم الله على المؤمنين التزوج من نساء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته، فقال : **M وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا** L الأحزاب: 53 . وكيف يحل لهم الزواج منهن وهن بمقام الأمهات ؟! **M وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** L الأحزاب: 6 .

قال الشافعي : " أزواجه اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافراً " (2).

قال القرطبي : " فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساءه، وحرمن على غيره، وهذا هو معنى بقاء النكاح الناس، لان الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة، فربما كان أحدهما في الجنة والآخر في النار، فبهذا انقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم " (3).

ثالثاً : عدم وجوب العدة على أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

يُستدل من قوله تعالى : **M وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا** L على عدم وجوب العدة على أزواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته ، لأن العدة مدة التربص التي ينتظر إباحة الزواج بعدها للمعتدة ، ونساء الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يباح لهن الزواج من بعده .

وقيل : عليهن العدة ، لأنهن زوجات توفي عنهن زوجهن ، وهي عبادة (4) .

1- الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : **تأويل مختلف الحديث** ، تحقيق محمد زهري النجار ، بيروت : دار الجيل ، 1972م ، ص 225 .

2- النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي: **المجموع** ، 20 جزءاً ، بيروت : دار الفكر ، جـ16 ، ص145 .

3- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص203 .

4- القرطبي : **المصدر السابق** ، جـ14 ، ص203 .

والذي رجحه ابن العربي أنه لا عدة عليهن ، وعلل ذلك ببقاء الزوجية في حقهن واستمرارها . ومعنى بقاء النكاح في حقه - كما يقول ابن العربي - بقاء أحكامه من تحريم الزوجية ووجود النفقة والسكنى ، إذ جعل الموت في حقه عليه السلام بمنزلة المغيب في حق غيره ، لكونهن أزواجاً له قطعاً ، بخلاف سائر الناس ؛ لأن الميت لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة ، فربما كان أحدهم في الجنة والآخر في النار ، فبهذا الوجه انقطع السبب في حق الخلق ، وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ .

1- انظر : ابن العربي : أحكام القرآن ، ج3 ، ص1567 .

المطلب الثالث : بعض أحوالهن مع النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل :

٩٨٧ ٦٥٤٣٢١٠ / . , + *) (' & % \$ # " ! M
Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = <
k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Y X W V U T S
~ } | { z y x w v u t s q p o n m l

مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتٍ يَبْكُنَّ عَيْدَاتٍ سَخِرَ لَكُمْ فِيهِنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ الْفَاحِشَاتِ ﴿٥١﴾ التحريم: ١- 5 .

ذكر العلماء روايتين في سبب النزول وما الشيء الذي حرمه الرسول - صلى الله عليه

وسلم - على نفسه .

أولاً : تحريم شرب العسل

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:
" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحِبُّ الْحُلُوءَ وَالْعَسَلَ ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ
عَلَى نِسَائِهِ فَيَذْنُو مِنْهُنَّ ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ ، فَسَأَلَتْ عَنْ
ذَلِكَ فَقِيلَ لِي : أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عَكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - مِنْهُ شَرْبَةً . فَقُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسُودَةَ وَقُلْتُ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ
سَيَذْنُو مِنْكَ فَقُولِي لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ (١) ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ : لَا . فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ
الرَّيْحُ ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرَّيْحُ ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ
لَكَ : سَقَنْتِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ . فَقُولِي لَهُ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ (٢) وَسَأَقُولُ ذَلِكَ لَهُ وَقَوْلِيهِ
أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سُودَةَ قَالَتْ : تَقُولُ سُودَةُ : وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَبَادِيَهُ
بِالَّذِي قُلْتُ لِي وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكَ . فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَتْ : فَمَا هَذِهِ الرَّيْحُ ؟ قَالَ : سَقَنْتِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ
. قَالَتْ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ صَفِيَّةُ فَقَالَتْ

1- " مغافير " : نبت كرية الرائحة يؤخذ من شجرة العرفط في الحجاز . انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج 9 ، ص 473 .

2- " جَرَسَتْ " : رعت واهتمت . " العرفط " : هو نبات مر له ورقة عريضة تفرش بالأرض وله شوكة وثمره بيضاء كالقطن مثل زر القميص ، وهو خبيث الرائحة . انظر : المصدر السابق : ج 9 ، ص 474 - 475 .

بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَسْتَفِيكَ مِنْهُ ؟ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ .
قَالَتْ تَقُولُ سَوْدَةٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَقَدْ حَرَمَنَاهُ . قَالَتْ : قُلْتُ لَهَا : اسْكُتِي " (1) .

ثانياً : تحريم الجارية على نفسه

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً . فأنزل الله هذه الآية M ! " # \$ % & ') (* + , ; . / O L (2) .

قال ابن جرير : " والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان، فإنه كان تحريم شيئاً كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرم على نفسه " (3) .

وقد عاتب الله تعالى رسوله من منع نفسه بعض ما أباحه له قاصداً إرضاء أزواجه ، فبين له أنه سبحانه غفور لما فرط منه من هذا المنع ، رحيم به فلا يعاقبه ولا يؤاخذة على تسرعه ، قال سبحانه : M ! " # \$ % & ') (* + , ; . / O L .

قال القرطبي : " وقد قيل إن ذلك كان ذنباً من الصغائر . والصحيح أنه معاتبته له - صلى الله عليه وسلم - على ترك الأولى ، وأنه لم تكن له صغيره ولا كبيرة " (4) .

وشرع الله تعالى تحليل الأيمان بأداء الكفارة المقررة في قوله تعال : M ©
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ۖ أَوْ كِسْفَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرِ

1- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب M # \$ % & ' (L ، رقم الحديث : 5268 ، ج7 ، ص44 . ومسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، رقم الحديث : 1474 ، ج2 ، ص1100 .
2- رواه النسائي . انظر : النسائي : سنن النسائي الكبرى ، كتاب التفسير ، باب سورة القلم ، رقم الحديث : 11607 ، ج6 ، ص495 . قال الألباني : صحيح الإسناد . انظر : الألباني : صحيح وضعيف سنن النسائي ، ج9 ، ص13 .
3- الطبري : جامع البيان ، ج23 ، ص480 .
4- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج18 ، ص160 .

رَقَبَةٌ مِّن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ L المائدة: 89 .

واختلف العلماء فيما إذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - كَفَرَّ عن يمينه أم لا على قولين :

1- لم يكفّر عن يمينه ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنما الأمر بالسورة لتعليم المؤمنين . قاله الحسن البصري (1) .

2- أنه كَفَرَّ عن يمينه فأعتق رقبة ، لأن الله تعالى طالبه بالكفارة بقوله تعالى : 5 4 3 2M 9 8 7 6 :: < = > L التحريم: 2 ، وهذا قول مقاتل وزيد بن أسلم (2) .

وقد رجّح القرطبي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كَفَرَّ عن يمينه لأنه قدوة للأمة (3) .

وفي المقابل عاتب رب العالمين ما كان من بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ووجهن نحو التوبة ، وعاتبهن على نشر سر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال سبحانه: M ` e d c b a ` f L التحريم: 4 ، وهو تعظيم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصون سره وتكريمه .

كما ناصر رب العالمين رسوله الكريم، فقال: M h i k j l m n o p q r s t u v L التحريم: 4، أي تتعاونوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فتضايقاه ، فإن الله هو وليه وناصره ، ووليه أيضاً جبريل - عليه السلام - وخيار المؤمنين (4) .

قال سيد رحمه الله : " ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاته الله وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهيرا ! ليطيب خاطر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير " (5) .

1- انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ18 ، ص164 .

2- انظر : المصدر السابق ، جـ18 ، ص 165 .

3- المصدر السابق : جـ18 ، ص 122 .

4- انظر : الزحيلي : التفسير المنير ، جـ28 ، ص308 .

5- قطب : في ظلال القرآن ، جـ6 ، ص3616 .

ثم جاء القرآن يهددهن بزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من غيرهن. قال سبحانه:

{ ~ خَيْرًا مِّنْكُمْ مُّسْلِمًا مُّؤْمِنًا قَنَاطًا تَبَيَّنَتِ عِدَاتِ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَتْ } | { zy x M © L

التحريم: 5 .

روى البخاري عن أنس قال : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ : { zy x M } | { ~ خَيْرًا مِّنْكُمْ } فَانزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (1) .

وهذا تحذير لهن بأن الله قادر إن وقع من النبي الطلاق أن يبده أزواجاً أفضل منهن، قائمات بفرض الإسلام ، وكاملات الإيمان ، ومطيعات لله ورسوله ، وتائبات من الذنوب ، ومواظبات على العبادة ، ومتذللات لله ، وصائمات ، وبعضهن تيبّ وبعضهن أبكارٌ .

ويُلاحظ أن جميع هذه الصفات يمكن اجتماعها في موصوف واحد ، ما عدا الوصفين الآخرين ، لذا عطفًا بالواو للدلالة على التغاير والتباين في الوصفين (2) .

والآية تتضمن غاية التهديد والوعيد على محاولات إيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه لا شيء أشد وأفسى على المرأة من الطلاق والعزم على التزوج بأخرى .

قال سيد رحمه الله : " وهو تهديد لهن ، لا بد كان له ما يقتضيه من تأثير مكابذاتهن في قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما كان ليغضب من قليل. وقد رضيت نفس النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول هذه الآيات ، وخطاب ربه له ولأهل بيته. واطمأن هذا البيت الكريم بعد هذه الزلزلة ، وعاد إليه هدوؤه بتوجيه الله سبحانه. وهو تكريم لهذا البيت ورعاية تناسب دوره في إنشاء منهج الله في الأرض وتثبيت أركانه " (3) .

1- رواه البخاري . انظر : صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : { zy x M } | { ~

خَيْرًا مِّنْكُمْ مُّسْلِمًا مُّؤْمِنًا قَنَاطًا تَبَيَّنَتِ عِدَاتِ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَتْ } © L ، رقم الحديث : (4916) ، ج6 ، ص158 .

2- انظر : الزحيلي : التفسير المنير ، ج28 ، ص310 .

3- قطب : في ظلال القرآن ، ج6 ، ص3617 .

هذا ما خصَّ الله تعالى به أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم ، ليرفع درجاتهن ، ويعلي منزلتهن، ويضاعف أجورهن . فهن القدوة للأمهات الصالحات ، عطرن السير بطيب عرف سيرتهن ، وقرت عين رسول الله بزواجهن ، وكان لهن الحظ العظيم بسنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فكن معلمات الأجيال ، وراسمات خطى العلم على مر الأزمان .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأصلي وأسلم على سيدي وقررة عيني محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد :

في ختام هذه الرحلة المباركة عبر صفحات الكتب ، ومع هذا العدد الوافر من نصوص الكتاب والسنة ، والنوافذ العديدة التي أطلت على أقوال العلماء والمفسرين ، أودّ أن أخصّ أهم النتائج التي توصلت إليها بعد أن وفقني الله تعالى ، وأعانني على إتمام هذه الدراسة :

1- الرسول - صلى الله عليه وسلم - نشأ يتيماً ، ومع هذا فهو نبراس البشرية الأسمى ، وهادي هدايتها الأعلى ، اجتمعت مكارم الأخلاق فيه ، فلم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل بعثته . ورغم فقره فقد أغناه الله غنائين : غنى القلب ، وغنى المال .

2- الأسرة هي جماعة الرجل الذين يتقوى بهم ، وهي المجموعة المتناسلة من الأب والأم ، تجمعهم مصالح مشتركة . وأسرة النبي - صلى الله عليه وسلم - كل أقاربه وأولاده وزوجاته . وشكّلت بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - التي اتصلت تربتها بالسماء قدوة للفرد والبيت المسلم .

3- كانت معاملته صلى الله عليه وسلم لأهله معاملة حانية ، يرضى أهلهم ويتلطف معهم ، ليكون الأسوة الحسنة للمسلمين .

4- وضع المارقون الكثير من الشبهات حول الأسرة النبوية الشريفة كحادثة الإفك الذي هو أسوأ الكذب ، فاتهم المنافقون السيدة عائشة المبرأة من فوق سبع سماوات ورموها بالفاحشة، مما ألمّ بالبيت النبوي الشريف وبيوت المؤمنين الصادقين .

5- حادثة الإفك معركة انتصر فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - بصبره النافذ ، وثقته الكاملة بأهل بيته الأطهار ، واستشارته لأصحابه الأفاضل . وقد ظهرت الخيرية في هذه الحادثة في مواطن كثيرة ، فكشف الله مكائد المنافقين وزادت قوة التشريع الإسلامي وقواعد الحياة الاجتماعية ، وأيد الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - وارتفعت مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها .

6- كان للأسر المؤمنة دورٌ في مواجهة ما أشاعه المنافقون ، فأحسنوا الظن بالبيت النبوي الكريم ، وحفظهم الله تعالى من التكلم في هذه المحنة كما حفظ أزواج نبيه - صلى الله عليه وسلم - من الخوض فيها .

7- ربّى الله تعالى المؤمنين تربيةً خلقيةً من خلال حديث الإفك ، فنهاهم عمّا يشين كالزنا والقذف وإشاعة الفاحشة وتناقل الكلام بلا تثبت أو دليل ، والعدول عن الحلف على ترك فعل الخير . وحضهم على حسن الظن والصبر وضبط النفس وتحري الحق والاستجابة له .

8- تبنى النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة قبل نزول آيات تحريم التبني ، ونفى الله تعالى أن يكون المتبني ابناً للمتبني ، ودعا الله تعالى إلى إظهار النسب الحقيقي للأبناء .

9- أثار المستشرقون شبهات حول زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش - رضي الله عنها - مستغلين ما ورد في بعض كتب التفسير من تعلق قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - بزينب والوقوع في حبها .

10- خصّ الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بخصائص في زواجه بأكثر من أربع نساء ، وبيّن له أصنافاً من النساء يتزوج بهنّ ، ولم يُجزّ له الزواج من غير المهاجرات ولا من الكتابيات . كما حرّم عليه أن يبدل نساءه أو يتزوج عليهنّ أو يطلق واحدةً منهنّ . وجعل له الحرية المطلقة في القسمة بين نسائه .

11- خيّر الله تعالى زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - بين الدنيا والآخرة ، فاخترن الله ورسوله ، وآثرن حياة الكفاف في الدنيا انتظاراً لحياة النعيم في الآخرة . وبيّن الله تعالى أنّهنّ لسن كسائر النساء في الثواب والعقاب ، فإن اتقين ضوعف ثوابهن ، وإن عصين عوقبن الضعف .

12- نهى الله تعالى زوجات نبيه - صلى الله عليه وسلم - عن الترقيق في الكلام والخضوع به والتبرج ، وأمرهن بالقرار في البيوت ، ومداومة الطاعة لله وللرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعليم القرآن والسنة والتذكير بالعلم .

13- فرض الله تعالى غطاء الوجه على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - دون غيرهن من النساء ، وحرّم عليهن الزواج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل لهنّ عدة يعتدنها .

14- عاتب الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - لأنه منع نفسه ما أباحه الله له قاصداً
إرضاء أزواجه ، وبين له أنه غفور لما فرط منه من هذا المنع ، ووجه سبحانه وتعالى زوجات
نبيه - صلى الله عليه وسلم - للتوبة ، وبين لهن أنه ناصر رسوله ، وهددهن بأنه قادر على
طلاقهن وتزويج نبيه - صلى الله عليه وسلم - من غيرهن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
79	275	L; : 9 87 M	البقرة
27	14	Lv u t s r q p M	آل عمران
76	3	Lb a ` _ ^] \ [Z M	النساء
29	19	Lp' وَعَاشِرُهُنَّ M	
59	143	L...d c b a ` _ ^] \ M	
79	5	L أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ M	المائدة
79	96	L% \$ # " ! M	
75	89	L... © يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ... M	
27	32	L...; : 9 8 7 6 5 4 3 M	الأعراف
33	109	L...] \ [Z Y X W M	التوبة
43	47	L... لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا... M	
22	16	L...] \ [Z Y X M	يونس
98	73	L:: 9 8 7 6 5 M	هود
65	18	La ` _ ^] \ [Z M	يوسف
27	7	L...A @? > = M	إبراهيم
42	97	LI HG F EDC M	الحجر
8	107	Ld c ba ` M	الأنبياء
60	11	L...o n k j i h g f M	الحج
22	69	L... لم يَعرِفُوا رِسُولَهُمْ فَهَمُّ لَهُمْ مَنِكِرُونَ M	المؤمنون
42	4	L...d c b a ` _ ^] \ M	النور
18	11	L...+ *) ('& % \$ # " ! M	
40			
43			
57			
60			

53 64 65	12	L...I H G F E D C B M	
65	13	L...X W V U S R Q P O M	
48 62	15	L...u t s r q p o M	
40 48	16	L...© وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ	M
49	17	L...يُعْظَمُ اللَّهُ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	M
49	18	L...وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	M
44 49 62	19	L...إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا	M
50	20	L...â وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ	M
63 66	22	L...Q P O N M L K J I H M	
41	23	L...l k j i h g f M	
41	24	L...{ z y x w v u t M	
41	25	L...يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ	M
3 18 47 61	26	L...الْمُحْسِنَاتُ لِلْحَيَاتِ وَالْحَيَاتُوكَ لِلْحَيَاتِ	M
25	85	L...)(' & % \$ # " ! M	القصاص
35	21	L...` _ ^] \ [Z Y M	الروم
17 68	4	L...M L K J I H G F M	
69	5	L...k j i h g M	
102	6	L...© بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ	M
18 91 92	28	L...{ } ~ إِنَّ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا	M
91 92	29	L...وَلِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ	M
93	30	L...يَنْبَسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ	M

93	31	L...) (' & % \$ # " M	
94	32	L... ٦ 5 4 3 2 1 M	
1 26 95 96	33	L... M L K J I H G F M	
98	34	L... i h g f e d c b M	
71	36	L... *) (' & % \$ # " ! M	
13 18 72	37	L... B A @ ? > = < ; M	
18	38	L... w v u t s r q p o n M	
17 70	40	L... مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ M	
17 77 83 84 85	50	L... p o n m l k j i M	
17 82 85 88 90	51	L...) (' & % \$ # " M	
17 79 85 87	52	L... U T S R Q P O N M L K J M	
18 26 100 102	53	L... l k j i h g f e M	
19	59	L... t s r q p o n m M	
17 25	4	L... إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ M	الحجرات
53	12	L... , + *) (' & % \$ # " ! M	
71	13	L... N M L K J I H G F E M	

9	21	L v u l s r M	الذاريات
18 104	1	L ...; + *) (' & % \$ # " ! M	التحريم
104 106	2	L > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 M	
104	3	L ... I H G F E D C B A @ M	
104 106	4	L ... j i h f e d c b a ` M	
104 107	5	L ... خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ ... } { z y x M	
42	10	L ... g f e d c b a ` _ M	
29	4	L n m l k M	القلم
9	28	L ; : 9 8 7 6 4 3 2 M	الإنسان
17 24	1	L E D C B M	البلد
17 24	2	L J I H G M	
17	3	L N M L M	
17 21	6	L \ [Z Y M	الضحى
17 21	7	L ` _ ^ M	
17 22	8	L d c b M	
28	11	L s r q p M	
17	1	L x w v u M	الشرح
17	2	L { z M	
17	3	L ~ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ M	
17	4	L وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ M	
24	1	L " ! M	التين
24	2	L % \$ M	
24	3	L) (' M	
27	8	L } { z y M	التكاثر

15	3	$L a \quad _ \quad ^ M$	الكوثر
----	---	--------------------------	--------

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	((أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ...))	27
2	((إِنَّ اتَّقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا))	29
3	((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَىٰ ...))	7
4	((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))	28
5	((أمسك عليك زوجك))	73
6	((أهلي والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك ...))	52
7	((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ))	53
8	((أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ ؟ ...))	54
9	((أين زيد ؟))	73
10	((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّىٰ كُنْتُ مِنْ ...))	7
11	((بل فانكحيه فإني قد رضيت له))	71
12	((ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة ...))	61
13	((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))	29 31
14	((سَقَيْتِي حَفْصَةَ شَرْبَةَ عَسَلٍ . قَالَتْ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ ...))	104
15	((فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى ...))	37 52
16	((فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني))	31
17	((فَادْكُرْهَا عَلَيَّ . قَالَ : فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّىٰ أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا ...))	72
18	((فَضَلُّ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ))	12

24	((فيه ولدت وفيه أنزل علي))	19
37	((كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَقُلْتُ :أُذْنُ لِي إِلَى أَبِيَّ ...))	20
73	((مالك : أرابك منها شيء؟ ...))	21
81	((ما لي في النساء من حاجة ...))	22
69	((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام))	23
29	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِي جَارَهُ ...))	24
30	((هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَقَةَ))	25
12	((هذه زوجتك))	26
91	((هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ ...))	27
24	((وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ...))	28
81	((والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه))	29
78	((هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ ؟ ...))	30
55	((يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت ؟...))	31
39	((يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ ، فَقَدْ بَرَّأكَ اللَّهُ ...))	32
51	((يا معشر المسلمين ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي))	33
68	((يا من حضر ، اشهدوا أن زيدا ابني، يرثني وأرثه))	34

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم
2. ابن أبي طالب ، مكي : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، ط1 ، جدة : دار المنارة ، 1986م.
3. ابن الأثير ، علي بن محمد بن الأثير الجزري : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1 ، بيروت : دار المعرفة 1997م.
4. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر : أنساب الأشراف ، 12 جزءاً ، تحقيق محمد حميد الله ، مصر : دار المعارف .
5. الأشقر ، عمر سليمان عبدالله : مسائل من فقه الكتاب والسنة ، ط3 ، عمان : دار النفائس ، 1999م.
- * الألباني ، محمد ناصر الدين :
6. السلسلة الصحيحة ، 6 أجزاء ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
7. صحيح وضعيف سنن الترمذي ، 8 أجزاء ، مصر: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.
8. صحيح وضعيف سنن النسائي ، 12 جزءاً ، مصر: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة .
9. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، ط1، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1405هـ .
10. الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 30 جزءاً ، ط2 ، دمشق : دار القلم .
11. الأمدي ، أبو الحسن علي بن أبي علي محمد : الإحكام في أصول الأحكام ، القاهرة : دار الكتب ، 1987م .

12. الإيجي ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الشيرازي الشافعي : **جامع البيان في تفسير القرآن** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م .
13. البخاري ، محمد بن اسماعيل : **صحيح البخاري** ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد بن زهير ناصر الناصر ، ط1، بيروت : دار طوق النجاة ، 1422هـ .
14. البروسوي ، إسماعيل حقي : **تفسير روح البيان** ، 9 أجزاء ، القاهرة : دار سعادات .
15. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء : **التهذيب في فقه الإمام الشافعي**، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997م .
16. البليهي ، صالح بن إبراهيم : **يا فتاة الإسلام اقربي حتى لا تخدعي** ، ط3 ، القاهرة : دار المسلم للنشر والتوزيع ، 1996م .
17. البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي : **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1999م .
18. البوطي ، محمد سعيد رمضان : **المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني** ، ط1 ، دمشق: دار الفكر ، 1996م .
19. التركي ، عبدالله بن عبد المحسن : **الموسوعة الحديثية شرح مسند أحمد**، 50 جزءاً، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1996م.
20. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، **الجامع الصحيح** ، 10 أجزاء ، حققه عزت عبد القادر عطا ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996م.
21. ابن تيمية ، أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم الدمشقي : **تفسير سورة النور** ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط2 ، 1996 م .
22. الثعالبي ، عبدالرحمن : **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ، 3 أجزاء ، ط1 ، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م .

23. الجزائري ، أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، 5 أجزاء ، ط2 ، المدينة المنورة : أضواء المنار ، 1419 هـ .
24. جمعة ، أحمد خليل : نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة ، دمشق : اليمامة للطباعة والنشر ، 1999م.
25. الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، 4 أجزاء ، القاهرة : المكتبة الإسلامية .
- * ابن جوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد :
26. زاد المسير في علم التفسير، 7 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1994م
27. تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير ، مصر : مكتبة الآداب .
28. الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه: المستدرک علی الصحیحین ، 20 جزءاً، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990م.
29. ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، 16 جزءاً ، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م.
- * ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني :
30. الإصابة في تمييز الصحابة ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ج4 .
31. تحرير تقريب التقريب ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م .
32. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، 15 جزء ، حققه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ط3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2000م .
- * حسّان ، محمد :
33. الحقوق الإسلامية ، ط1 ، المنصورة : دار فياض ، 2006م .
34. لا تحسبوه شراً لكم ، مصر ، المنصورة : دار فياض ، 2005م.

35. الحلبي ، علي بن برهان الدين : السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، 3 أجزاء ، القاهرة : دار الاستقامة ، 1962 م .
36. حمادة ، فاروق: الدوحة النبوية الشريفة ، ط1 ، دمشق : دار القلم .
37. حمادي ، عبد المحسن : مدخل إلى أصول التربية ، ط4 ، الكويت : كويت تايمز، 1995 م.
38. الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت: معجم البلدان ، 5 أجزاء ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، بيروت : دار الكتب العلمية .
- * حوى ، سعيد :
39. الأساس في التفسير ، 10 أجزاء ، ط1، القاهرة : دار السلام ، 1985 م .
40. المستخلص في تزكية الأنفس ، ط11 ، القاهرة : دار السلام ، 2005 م.
41. أبو حيان ، محد بن يوسف الأندلسي الغرناطي : البحر المحيط ، 9 أجزاء ، بيروت: دار الفكر ، 1983 .
42. الخطيب ، عبدالكريم : التفسير القرآني للقرآن ، 30 جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الفكر، 1990 م .
43. أبو داوود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السَّجِسْتَانِي : سنن أبي داوود، 4 أجزاء ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996 م .
44. الدردير ، أبو البركات أحمد : الشرح الكبير بحاشية الدسوقي ، 4 أجزاء ، مصر : مطبعة البابي الحلبي .
45. الدولابي ، محمد بن الصباح : الذرية الطاهرة ، ط1 ، الكويت : الدار السلفية .
46. الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، تحقيق محمد زهري النجار ، بيروت : دار الجيل ، 1972 م .

47. الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان : **التلخيص** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990م .
48. الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان : **تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق الدكتور عمر ترميس ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1987م ، ص 597 .
49. الرازي ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين : **التفسير الكبير " مفاتيح الغيب "** ، 32 جزءاً ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997م .
50. الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد : **المفردات في غريب القرآن** ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1999م .
51. الزاوي ، طاهر أحمد : **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية .
52. الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني : **تاج العروس** ، 10 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1406 هـ .
- * الزحيلي ، وهبة :
53. **التفسير المنير** ، 30 جزءاً ، دمشق : دار الفكر ، 1991م .
54. ندوة بعنوان : **حكم التبني وأبعاده الإنسانية والاجتماعية** ، باريس : مسجد الدعوة ، يوم السبت 28 - 4 - 2001 . موقع : د . وهبة الزحيلي (www.zuhayli.net)
55. الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1995 .
56. أبو زهرة ، محمد : **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم** ، جزءان ، ط2 ، قطر : دار إحياء التراث الإسلامي ، 1995م .
57. زيدان ، عبد الكريم : **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة** ، جزءان ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1999م .

58. ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري : الطبقات الكبرى ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار صادر.
59. أبو السعود ، محمد بن محمد الحنفي العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، 10 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار صادر للتراث ، 1999 م .
60. السهيلي ، عبدالرحمن : الروض الأتف في شرح السيرة النبوي لابن هشام ، 6 أجزاء ، القاهرة : دار النصر .
61. ابن سيد الناس ، محمد بن عبدالله بن يحيى : عيون الأثر في فنون المغازي والسير ، جزآن ، ط3 ، بيروت : دار الأفاق ، 1982 م .
62. السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية .
63. الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى : الاعتصام ، جزآن ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى.
64. الشافعي ، محمد بن إدريس : الأم ، 8 أجزاء ، ط2 ، بيروت : دار الفكر ، 1983 م.
65. الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي : سبل الرشاد في سيرة خيرة العباد ، 11 جزءاً ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود و علي محمد معوض ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1993 م .
66. الشعراوي ، محمد متولي : تفسير الشعراوي ، 16 جزءاً ، ط1 ، القاهرة : الأزهر (مجمع البحوث) ، 1991 م .
67. الشوكاني ، محمد بن علي : فتح القدير ، 5 أجزاء ، ط2 ، بيروت : دار الفكر ، 1403 هـ .

* الصابوني ، محمد علي :

68. **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن** ، جزءان ، ط1 ، دمشق : مكتبة الغزالي ، 1971م .
69. **صفوة التفاسير** ، 3 أجزاء ، ط9 ، القاهرة : دار الصابوني .
70. **الصنعاني ، عبدالرزاق : مصنف عبدالرزاق** ، 11 جزء ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت : المكتب الإسلامي .
71. **الصوّاف ، محمد محمود : فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان** ، ط1 ، مكة : دار العلم ، 1985م .
72. **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، 24 جزءاً ، ط1 بيروت : مؤسسة الرسالة ، 2000م .
73. **الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن** ، 20 جزءاً ، ط2 ، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، 1973م .
74. **ابن عادل ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي : تفسير اللباب في علوم الكتاب** ، عشرون جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998م .
75. **ابن عاشور ، محد الطاهر : التحرير والتنوير** ، 30 جزءاً ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع .
76. **عبدالعزیز ، أمير : التفسير الشامل** ، 6 أجزاء ، القاهرة : دار السلام ، ط1 ، 2000م .
77. **ابن العربي ، محمد بن عبد الله أبو بكر : أحكام القرآن** ، 5 أجزاء ، ط2 ، القاهرة : دار الدعوة ، 1967م .
78. **عتريس ، محمد : المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم** ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الآداب ، 2006م .
79. **عرجون ، محمد صادق : محمد رسول الله** ، 4 أجزاء ، دمشق : دار القلم ، 1995م .

80. العك ، خالد عبد الرحمن : شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة ، ط3، بيروت : دار المعرفة ، 2000م .
81. العويد ، محمد رشيد : من أجل تحرير حقيقي للمرأة ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم، 1993م.
82. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي : المستصفى من علم الأصول ، دراسة وتحقيق: محمد بن سليمان الأشقر ، جزآن ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1417هـ ، 1997م .
83. الغزالي ، محمد : خلق المسلم ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، 1998م .
84. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي: مقاييس اللغة ، 6أجزاء، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 1423 هـ.
85. الفايدي ، تنيضب : مقال بعنوان " بيوت النبي صلى الله عليه وسلم " جريدة الرياض اليومية www.alriyadh.com.
86. فرج ، السيد أحمد : الأسرة في ضوء الكتاب والسنة ، ط1 ، مصر : دار الوفاء .
87. ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي : المغني ، 9 أجزاء ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، 1981م .
88. القرطبي ، محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، عشرون جزءاً ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط1 ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، 1965 م .
- * القرني ، عائض بن عبد الله :
89. بهجة التفاسير ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 2004م .
90. محمد - صلى الله عليه وسلم - كأنك تراه ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم .
91. قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، 6 أجزاء ، ط1 ، القاهرة : دار الشروق ، 1997 .

92. القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين : **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، 6 أجزاء ، ضبطه وخرّج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1416هـ .
93. القوجوي ، محمد بن مصلح الدين مصطفى الحنفي : **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي** ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية .
- * ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد :
94. **جلاء الأفهام** ، ط1 ، دمشق : دار الفكر ، 1988م.
95. **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط3 ، 6 أجزاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
- * ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي :
96. **تفسير القرآن العظيم** ، ط1 ، 5 أجزاء بيروت: دار صادر ، 1999م.
97. **السيرة النبوية**، بيروت : دار الفكر.
98. **الفصول في سيرة الرسول** ، ط3 ، عمّان : دار أسامة للنشر ، 1998م .
99. الكازروني ، سعيد الدين محمد بن مسعود : **المنتقى من سيرة النبي المصطفى** ، 4 أجزاء ، ط1 ، فلسطين : دار الهدى للطباعة والنشر ، 2001م .
100. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر : **مسند الإمام أحمد - الموسوعة الحديثية** ، المشرف العام : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، شارك فيها : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، وعادل مرشد ، وإبراهيم الريّض ، ومحمد رضوان عرقسوسي ، وكامل الخراط ، 50 جزءاً ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1996م .
101. المارودي ، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي : **النكت والعيون**، 4 أجزاء ، ط1 ، الكويت : وزارة الأوقاف ، 1982م.
102. المباركفوري ، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم : **تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية .

103. مراد ، يحيى : **افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها** ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م.
104. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي : **فتح الأشراف لمعرفة الأشراف** ، 14 جزءاً ، ط2 ، القاهرة : دارالكتاب الإسلامي ، 1993 م .
105. مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري : **صحيح مسلم بشرح النووي** ، 16 جزء ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، ط2 ، بيروت: دار المعرفة 1999 م .
106. مغنية ، محمد جواد : **التفسير الكاشف** ، 7 أجزاء ، ط3 ، بيروت : دار العلم للملايين، 1981 م .
107. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : **لسان اللسان** . جزءان ، ط1، بيروت: دار الكتب .
108. المودودي، أبو الأعلى : **تفسير سورة النور** ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
109. النسائي ، أحمد بن شعيب : **سنن النسائي الكبرى** ، 6 أجزاء ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1991م ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن.
110. النسفي ، عبدالله بن أحمد بن محمد : **تفسير النسفي** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1985 م .
- * النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي :
111. **شرح صحيح مسلم** ، 16 جزءاً ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1990م.
112. **المجموع** ، 20 جزءاً ، بيروت : دار الفكر .
113. نويهض ، عجاج : **بروتوكولات حكماء صهيون** ، ط4 ، بيروت : دار الاستقلال للدراسات والنشر ، 1996 م .
114. ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك : **السيرة النبوية لابن هشام** ، 4 أجزاء ، بيروت: دار إحياء التراث .

115. الهيتمي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حجر السعدي : **مجمع الزوائد** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1988م .
116. هيكل ، محمد حسين : **حياة محمد** ، ط13 ، مصر : مكتبة النهضة.
117. الواحدي ، أبو الحسن علي بن محمد النيسابوري : **أسباب النزول** ، تحقيق الدكتور مصطفى البغار ، ط1 ، دمشق : دار ابن كثير ، 1988م .
118. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية : **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، 45 جزءاً ، ط2 ، الكويت : دار السلاسل ، 1427هـ .

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Features of the Prophet's Family in the Holy Quran

By

Mohamed Said Mohamed Antari

Supervision

Dr. Odeh Abdullah

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement for the Degree of Master of Islamic Law (sharia's) in Usol AD-DIN, Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University. Nubles , Palestine .

2008

Features of the Prophet's family in the holy Koran

Prepared by

Mohamed Said Mohamed Antari

Supervision

Dr.Odeh Abdullah

Abstract

The Prophet's family cleared a model guide to the families of Muslims, and talked about an interview with fun and interesting and burden of the House will talk about them?! They described the elite, inspired them and virtues of faith, and merits.

And have addressed in this study modest. Features family tube through the Koran, built the first concept of the Prophet's family, and their significance in the context Koran. And offered to the life of the Prophet - may God and peace - and aside from the morality through its inception and talk about his home, Oh God, who created it, for example for believers, and they get absolution from Allah.

Then talked about beset this family of the Prophet's noble suspicions raised by the enemies of Islam, and has been the story of the suffering (the incident Lies) and its impact on home-Sharif and homes of believers. The story of marriage and the Prophet - may God and peace - from Zaynab Bint Jahash blessings of God By, and raised suspicions of people wrong about this marriage and respond to them.

And the specifics of the Prophet - may God and peace - in his marriage, and what they allowed God to him are women, and as stipulated in the marriage.

And at the end of this school I have been illustrated the specifics of the wives of the Prophet Mohammad, peace, and what God prepared for them from a great reward and high standing.